المنفيون الليبيون إلى أوستيكا

من 1911 حتى 1934م

تأليف: فيتو أيلارا وماسيمو كازيرتا

ترجمة: يونس فنوش

تمهيد وتحرير: فرج نجم

Vito Ailara Massimo Caserta

I Relegati Libici a Ustica dal 1911 al 1934

Prefazione
Cristiana Fiamingo

Comune di Ustica

Centro Studi e Documentazione Isola di Ustica

IsIAO
Istituto
Italiano
per l'Africa
e l'Oriente

المنفيون الليبيون إلى أوستيكا
من 1911 حتى 1934م

تأليف: فيتو أيلارا وماسيمو كازيرتا

ترجمة: يونس فنوش

تمهيد وتحرير: فرج نجم

الإيداع: دار الكتب الوطنية / بنغازي - ليبيا

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية / بنغازي - ليبيا

البريد الإلكتروني: nat_lib_libya@hotmail.com

ردمك ISBN 978-9959-9755-0-8

رقم الإيداع القانوني: 605 / 2023

جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة من هذه الطبعة الأولى محفوظة

لمركز بناء السلام وإدارة الأزمات - بنغازي.

مركز السلام
Salam Centre
2024م

إهداء

إلى الصديق الودود كارلو باتوري الذي لولا شغفه، وتفانيه في عمله، واحترامه لليبيا والليبيين ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، لما خرج هذا الكتاب لحيز الوجود ...

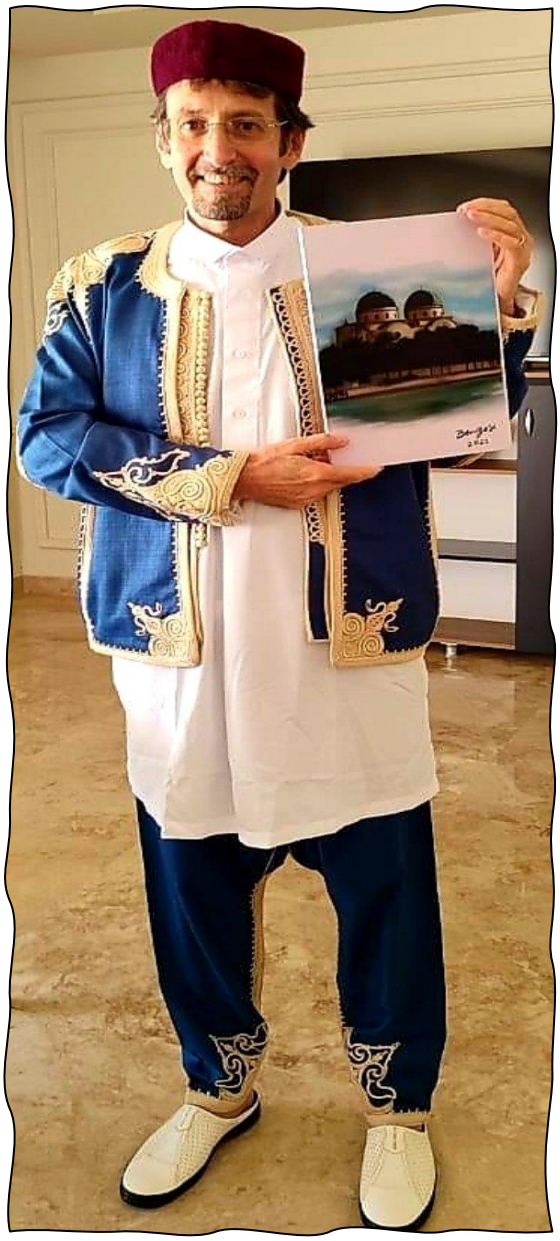

المحتويات

تمهيد "على خطى المنفيين" فرج نجم	1
ترجمة كتاب "المنفيون الليبيون إلى أوستيكا" ترجمة يونس فنوش	41
إهداء	42
شكر وتقدير	43
أوستيكا والليبيون: قرن من التاريخ المشترك: فرانكو فوريستا مارتن	45
1911– 2011م: ماض علينا استيعابه في الذاكرة الجماعية: كريستينا فيامنجو	48
أوستيكا في بداية القرن العشرين	58
تاريخ النزاع بين إيطاليا وليبيا	60
مخطط المعرض	64
خط سير المعرض	65
صفحة من الماضي المنسي يجب أن تعاد إلى الذاكرة الجماعية	67
بداية التجربة الاستعمارية الإيطالية في أفريقيا والحرب الإيطالية التركية	74
عملية النفي الأولى سنة 1911م	76
عملية النفي سنة 1915م	100
عمليات النفي في العهد الفاشستي	117
الأمير السنوسي الصغير النشط	141
عمر باشا الكيخيا غامض وقوي	144
آخر الليبيين في أوستيكا	146
المراجع: لوتشانو نيستيكو	152
مساهمات ومداخلات في ندوات أقامها مركز الدراسات حول قصة الليبيين في أوستيكا	157
صرخة أم ...	158
وميت في ليبيا: فرانشسكو بريستوبينو	158

على خطى المنفيين

تمهيد: فرج نجم

شدني وأسر انتباهي هذا الكتاب الإيطالي بعنوان:

I Relegati Libici a Ustica dal 1911 al 1934.

"**المنفيون الليبيون إلى أوستيكا من 1911-1934م**"

من تأليف: ڤيتو ايلارا - ماسيمو كاسيرتا

الذي أهداه لي قنصل عام إيطاليا في بنغازي كارلو باتوري Carlo Batori، ووجدت فيه بعض أسماء الذين طالما ذكرتهم في حضوره من الذين عانوا وكافحوا إبان حقبة الاستعمار الإيطالي كالكيخيا وكويري وبعض من السنوسية ... إلخ.

فقمت بتمرير الكتاب للدكتور يونس فنوش، هذه القامة الأكاديمية، والمتمكن والبارع في الترجمة من الإيطالية للعربية، ولما سبق وقام به بالتعاون معنا في هذا الصدد، ولم يخيّب ظني السيد فنوش، ففي أقل من شهرين اتصل بي وأخبرني بأن الكتاب قد تمت ترجمته، وجاهز للنشر بعد مراجعته، الأمر الذي نقلته للصديق كارلو، فاتصل كارلو بدوره بمركز الدراسات والتوثيق بجزيرة أوستيكا يطلب فيها الإذن بنشر الترجمة، فكان الرد إيجابياً، وتطور الموضوع لمقترح زيارة تلك الجزيرة النائية، خاصة بعدما تم التواصل مع عميد بلديتها الذي رحب بنا.

فكرت في الموضوع ملياً وخاصة بعدما شجعني إصرار وشغف كارلو بالتاريخ عامة وهذه الجزئية من تاريخ ليبيا خاصة. أيضاً هذه كانت بمثابة باب للبحث أطرقه للمرة الأولى كباحث مستقل بعيدا عن مؤسسات الدولة الرسمية بما حل بالآباء والأجداد في الماضي، وهذه الفرصة سنحت في الأيام الأخيرة من مهمة كارلو كقنصل عام في

بنغازي قبل المغادرة بعدما أنهي مهمته في المدينة التي تلخصت في تأسيس وفتح قنصلية عامة في بنغازي، وإصدار تأشيرات (شينغن) منها، وإعادة التوازن في العلاقات بين الليبيين بإعادة الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية مع برقة.

الرحلة إلى صقلية ...

عقدت العزم وتجهزت وتسلحت بكثير من المعلومات عندما راجعت الكتاب الذي ترجمه د. يونس فنوش "الليبيون في أوستيكا"، ثم استخرت وانطلقت أنا ورفيق الرحلة – كارلوا باتوري – الذي خطط الرحلة كلها مع الزملاء في أوستيكا، فركبنا من مطار بنينا إلى قرطاج بتونس واسترحنا ليلتنا هناك، وفي اليوم التالي بعد الظهر تناولنا وجبة سمك في مطعم Speigoli في حلق الواد البحرية بتونس، الذي ذكرنا بالجالية الإيطالية التي كانت تقيم هنا قبل احتلال فرنسا لتونس، حيث كانت عين إيطاليا على تونس، ولكن سبقتها إليها فرنسا عام 1881م، ومن ثم بريطانيا إلى مصر عام 1882م، ولم يترك لإيطاليا إلا ليبيا فاحتلتها عام 1911م لتبدأ مأساة ليبيا وأيضاً إيطاليا لثلاثة عقود من البؤس والدمار والوجع.

بعد المغرب صعدنا سفينة Cruise Smeralda المملوكة لشركة Grimaldi Line والتي شقت بنا عباب البحر على خطى أولئك المنفيين المنكوبين، وأنا اتأمل محاولاً تحسس مشاعر أولئك المظلومين الذين كثير منهم يرون البحر للمرة الأولى، ومعظمهم يركبون هذه السفن للمرة الأولى، والأخيرة للبعض، مع هذا الكم من تذكر الماضي المؤلم قوبلنا بالبشاشة والكرم الذي حفنا به طاقم السفينة الإيطالي، وخاصة الربان الذي أقام

عشاءً فاخراً على شرفنا مما غير مزاج الرحلة، وجعلها أقل وطأة بكثير بالمقارنة بأولئك المنفيين عن وطنهم.

سياسة النفي تاريخيا ...

سياسة النفي للجزر النائية والأماكن البعيدة سياسة تتبعها السلطات الغاشمة مع كل من يعارضها، فقد فعلها الترك عندما نفوا من عارضهم الى "مجاهل" ليبيا، وأيضاً سجن ونفي الليبيين الذين تحدوا سلطانهم في البلاد، فقد سجل تاريخ عائلة الوالدة نفي أربعة من أعمام والدها على يد الترك لرفضهم دفع الميري، ورفع السلاح في وجه السلطات، وهم: المهدي، والكيلاني، وعبد القادر، ومنصور الخضر (عواقير – بيت إبراهيم)، ولم يعرف مصيرهم منذئذ حتى يومنا هذا.[1] لعل أشهر المنفيين كنتيجة لهذه السياسة الإقصائية استعملتها بريطانيا مع من كونوا سكان أستراليا من البيض الذين كانت بريطانيا تنفيهم لأنهم مجرمين أو معارضين لحكمها سياسياً، فيما عرف بسياسة نفي المدانين Convicts. وكانت أول عملية نفي إلى جزيرة تريميتى، بتاريخ 26 أكتوبر 1911م، وبلغ عدد من رحلوا في هذه العملية (595) منفياً، وكان يوجد من بينهم مختلف الأعمار من ذكور، وإناث وقد تلتها دفعات أخرى.[2]

ووفق مصادر تاريخية بينها منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية فإن عدد المنفيين الليبيين وصل إلى حوالي 5000 آلاف شخص، جرى نفيهم إلى

---

[1]- مقالة بجريدة أخبار بنغازي، عبد العالي العوكلي، العدد رقم 1420 للسنة 10، بتاريخ 2005.9.22م.

[2]- لمزيد من المعلومات حول الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب الوثائق الإيطالية، المجموعة الثالثة عشر: المنفيون العرب الليبيون في جزيرة بونزا، إعداد علي عمر الهازل، إصدار المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس - ليبيا، سنة 1992م.

جزر، معظمها مهجور، شبه خالية من السكان، استخدمت كسجون من أبرزها جزر تريميتي، وبونزا، وأوستيكا.

وتنقل بوابة الوسط (الإعلامية) حيث "تشير المصادر إلى أن أولى عمليات النفي جاءت بعد برقية بالخصوص وجهها رئيس الوزراء الإيطالي آنذاك جوفاني جولييتي Giovanni Giolitti[3] إلى قائد الحملة العسكرية الجنرال كارلو كانيڤا Carlo Caneva (الذي عرف بالجزار)[4] الذي قاد عمليات القتل في طرابلس، يقول نص البرقية:

[3]- سياسي إيطالي (1842-1928م) تولى رئاسة الوزارة في إيطاليا خمس مرات، ولم يتولَّ أحد في إيطاليا رئاسة الحكومة مثله خمس مرات. في خريف عام 1911م (أثناء وزارته الرابعة) أعلن الحرب على الإمبراطورية العثمانية، وذلك بهدف غزو ليبيا. وهو من وعد الطليان بأن عملية احتلال ليبيا ستكون نزهة بحرية. دعم بينيتو موسوليني بعد وصوله إلى السلطة عام 1922م اعتقاداً منه بأنه سيكون معتدلاً في سياساته، لكنه تراجع عن هذا الدعم عام 1924م.

[4]- هذا الجنرال الدموي أحد المسؤولين عن الجرائم والمجازر بعد معركة شارع الشط بطرابلس في أكتوبر سنة 1911م حيث قامت قواته بعدة جرائم انتقامية بعد المعركة منها شنق وإعدام الأسرى.

«ت 27979 . روما . 24 أكتوبر 1911م . الساعة 16.45: من برقيتك لم يكن واضحاً كيف يتطور القتال الذي كلف خسارة الضباط والجنود الذين ذكرتهم أنه من الضروري لنا أن نحصل على معلومات دقيقة وكاملة لمنع انتشار الأخبار الخاطئة في إيطاليا وفي الخارج حيث يمكن اعتبارها هزيمة لنا وهو الواقع الذي ينزع الثقة منا .. بالنسبة للمتمردين المعتقلين يجب ألا ينفذ إعدامهم هناك، سأرسلهم إلى جزيرتي تريميتي في البحر الأدرياتيكي مع أولئك الموجودين تحت الإقامة الجبرية، يمكن توجيههم إلى هناك مباشرة مع إعلامي بمغادرتهم وأن جزيرة تريميتي تستطيع استقبال 400 سجين، إني مرسل إلى هناك مفتشاً من الأمن العام لإعداد إقامتهم».

جوفاني جوليتي

ثم يضيف جوليتي برقية لاحقة يأمر فيها كانيڤا بإرسال أي عدد من الليبيين: «مستعجل إلى سعادة الجنرال كانيڤا القائد العام بطرابلس أعتقد أنه من الأحسن بالإضافة إلى برقيتي أنه بالإمكان وضع أي عدد من العرب حتى وإن كان يبلغ عشرات الآلاف في جزر تريميتي وفاڤينيانا وأوستيكا وڤنينونتيبي وغيرها».[5]

[5]- بوابة الوسط - عدد يوم السبت 26 أكتوبر 2019م.

وقد كررها الجنرال غراتسياني عندما خاطب الليبيين وقال لهم: عندي لكم ثلاث حالات، الباخرة الموجودة في الميناء (أي النفي إلى الجزر الإيطالية النائية) وأربعة أمتار فوق الأرض (المشنقة) ورصاص بنادق جندنا (الإعدام رمياً بالرصاص). وكرر ذلك الحاكم العام لليبيا الجنرال بياترو بادوليو بالتأكيد فقال: سأدمر كل شيء ... الرجال والمصالح.

وصلنا صباح اليوم التالي إلى ميناء مدينة باليرمو – عاصمة أقليم صقلية – وهي أكبر جزر إيطاليا من حيث المساحة، وتتمتع بشبه استقلال ذاتي، تتحدث اللغة السيشليانية، ولها تاريخ مشترك مع العرب حيث حكمها المسلمون لأكثر من قرن، قبل أن يستردها ملك النورمان فريدريك الثاني، وطرد المسلمين لإرضاء البابوات الذين كانوا متعصبين ضد وجود الإسلام في قلب العالم المسيحي.

ولهذا كان علينا لزاماً أن نرى أهم معالم باليرمو التاريخية، وخير من صاحبنا في ذلك الصديق د. منذر التاجوري، أصيل مدينة بنغازي والذي درس بجامعة باليرمو؛ ويعمل هناك، والذي كان في انتظارنا في الميناء. ظهرت المدينة وكأنها أي مدينة عربية متوسطية من حيث المباني والأزقة، وما لفت انظارنا إليه الزميل منذر هو كاتدرائية باليرمو التي تتوسط المدينة فقد كانت سابقاً مسجداً جامعاً إبان الحكم الإسلامي، وهي الآن كنيسة ومتحفاً ومزاراً لملايين السواح وتحتضن بين جدرانها في ركن قصي قبور الملوك والأباطرة وأشهرهم فريدريك الثاني الذي قضى على الوجود الإسلامي في الجزيرة، والملفت للنظر هو عملية الترميم والصيانة الجارية بأروقتها بينما هذا الكم من الرواد داخلها بين مصلي وسائح، وباحث كما هو ديدننا.

ثم صعدنا قارب Liberty والتي اتجه بنا مسرعا شمالاً إلى جزيرة أوستيكا التي هي جزء من إقليم صقلية، مساحتها لا تزيد عن 8 كيلومتر (8000 هكتار)، سكانها في الشتاء لا يزيدون عن 900 شخص، وفي الصيف تزيد إلى 4000، لتوافد السواح إليها، لا توجد بها مرافق عامة كالمستشفيات أو غيرها من المرافق الحيوية، وبوابتها الوحيدة إلى العالم هو هذا المرفأ الصغير الذي وصلنا عبره، لنجد الدفء على شواطئها وأهلها، حيث كان في استقبالنا عميد البلدية سالڤاتوري ميليتيلو Salvatori Militello بالزي الرسمي حيث توشح بعلم إيطاليا، وڤيتو ايلارا Vito Ailara وهو عميد سابق ومؤرخ الجزيرة، وأحد مؤلفي الكتاب عن المنفيين الليبيين الذي كان سبباً في قدومنا الى هذه الجزيرة.

مع عميد البلدية سنيور
سالڤاتوري ميليتيلو

أوستيكا الجزيرة ...

شعرت حالما وطأت قدماي يابسة الجزيرة بقشعريرة، وشعور غريب في جوفي، ولكن للأمانة سرعان ما تبدد عندما قابلنا عميد البلدية سنيور سالڤاتوري ورفيقه ڤيتو Zio Vito البالغ من العمر 84 سنة، و Zio تعني العم ڤيتو – كما يناديه أهل الجزيرة – بكل

ترحاب وضيافة كما هو عند العرب، وأخذنا العميد في سيارته الخاصة في جولة سريعة بالجزيرة الصغيرة وسط ترحاب أوستيشيزي (الأوستيكايون) ثم أوصلنا للفندق الصغير الجميل CLELIA الذي استضافونا فيه، وهو من أملاك وإدارة عائلة العم ڤيتو.

وبعدما نلنا قسطاً من الرائحة، وبدعوة كريمة ذهبنا إلى مركز الدراسات والتوثيق في أوستيكا Centro Studi e Documentazione، حيث كان في استقبالنا مدير المركز نيكولا لونقو Nicola Longo وبقية أعضاء مجلس الإدارة في حضور عميد البلدية، وتبادلنا الحديث عن ألم ووجع المنفيين في الجزيرة، وكيفية إبرازه للعامة، واستثمار ذلك لخلق علاقات أفضل، ومن ثم تبادلنا الكتب بيننا.

ثم أصر السيد لونقو على زيارة مزرعة العائلة حيث كانت في استقبالنا ابنته مارغريتا Margherita وعائلتها الصغيرة، وأكرمتنا ببعض المنتجات من حصاد مزرعتها. في المساء تعشينا على شرف مجلس البلدية في مطعم سمك ساحر على شاطئ الجزيرة الهادئة.

وفي اليوم التالي وفي الصباح الباكر أخذنا الصديق جاكو إلى برفسور فرانكو فورستا – عالم الجيولوجيا – الذي طاف بنا في الجزيرة الصغيرة، وأرانا التركيبة الجيولوجية للجزيرة من حيث تربتها وصخورها، والغابة الأمر الذي وجدته متطابقاً بنسبة 99% مع الجبل الأخضر خاصة تلك النباتات والأشجار كالبطوم والعرعار والشيح إلخ، وكيف وصلت الجزيرة إلى حالها الآن.

وبعد التعرف على طوبوغرافيا الجزيرة وتضاريسها، انتقلنا في زيارة رسمية لمقر البلدية حيث كان في استقبالنا عميدها ونائبه، وبعض من أعضاء المجلس البلدي، وقد أهداني كتابين ضخمين رائعين عن الجزيرة، وبدوري قابلت لطافته بالمثل، وأهديته أحد أعمالي

المتواضعة عن التركيبة القبلية/ الاجتماعية في ليبيا بالإنجليزي، وقد صدرته بإهداء كتبت فيه:

السيد عميد البلدية ..

إنه من دواعي السرور والغبطة أن أقضي بعض الأيام من عمري في كرم ضيافتكم وبشاشة اللقاء بكم .. نستذكر فيه معاً بعضا من ماضي الآباء والأجداد المؤلم، في محاولة لطي ذاك الوجع الذي ألم بنا على أمل أن نبني مستقبلاً رائعاً للأجيال القادمة.

سالڤاتوري ميليتيلو وكارلو باتوري يتوسطهم فرج نجم 2022م

ثم تجول بنا العميد في المقبرة العربية حيث دفن 279 ليبي فارقوا الحياة هناك، وطلب العميد المساعدة في ترميم وتصميم المقبرة على الطراز الإسلامي بتكلفة تقديرية تصل إلى 80 ألف يورو (يونيو 2022م).

ثم التقينا بـ Davide Bruno المهتم بالحفاظ على البيئة على وجبة غذاء، وتحدثنا عن التحديات التي يواجهها يومياً والموازنة بين ضروريات الحياة والبيئة، ثم بعد راحة قصيرة انتقلنا لمركز الدراسات لنلتقي مع العم ڤيتو – المرجع التاريخي للجزيرة – وعقدنا جلسة حوارية عبر الفضاء باستخدام خاصية Zoom جمعت الدكتور يونس فنوش بتيسير من القنصلية الإيطالية ببنغازي، والدكتورة الإيطالية قالادرييل راڤيللي Dr. Galadriel Ravelli من جامعة Bath البريطانية وحالياً تعمل مع مركز الذاكرة الحضارية في لندن، ومهتمة بتذكر الماضي الاستعماري، أيضاً انضم إلى الجلسة ماسيمو كاسيرتا المؤلف الثاني لكتاب "المنفيون في أوستيكا" من مدينة فلورنسا، واستمرت الجلسة لمدة ساعتين من تبادلنا الحديث والأفكار حول موضوع النفي والمنفيين في إيطاليا.

وبعد جولة في أروقة المركز وتصفح منشوراتهم عن المنفيين الطليان والليبيين وآخرون، ولكن هذا كله ترك أسئلة فضولية لم يستطع أحد الإجابة عليها إلا العم ڤيتو ما اضطرنا أن نلحق به في مكتبه الخاص في بيته ليجيب عن تلك الأسئلة التي بقيت طوال هذه السنوات بدون جواب شاف. وكان أحد الأسئلة الملحة عن أي وجود لليبيين في الجزيرة سواء من الأبناء أو الأحفاد، أو أي آثار تدل على مرورهم من هنا، فكان الجواب هي تلك القبور لقرابة 279 شهيدا في المقبرة العربية في مقبرة أوستيكا ناهيك عمن ماتوا ورميت جثثهم في البحر في رحلتهم الى مصيرهم المجهول إلى صخور هذه الجزيرة.

بداية مأساة المنافي ...

كتب الروائي صالح السنوسي واصفاً حالات النفي في مزج بديع بين الخيال والحقيقية في روايته "الهروب من جزيرة أوستيكا":

"ما أن تم التسليم والاستلام بين الشرطة التابعة للإدارة الاستعمارية في مدينة بنغازي، وحراس المركب التابعين لإدارة سجن جزيرة أوستيكا حتى انزلق المركب من حوض الميناء إلى ظلمة البحر، تاركاً خلفه مدينة يلفها رداء الخوف، وفي بيوتها عشرات

الأمهات والزوجات والأخوات والأبناء والآباء الذين لا يجرؤ أحد منهم يطلق صرخة استغاثة".[6]

كانت بداية النفي بعد الاصطدام ساعتئذ وطئت أقدام الجنود الإيطاليين التراب الليبي عندما قذفت سفن البحرية بأولئك الجنود المغرر بهم من أجل مجد إيطاليا الذي سمعوا به وقرأوا عنه، ولكنهم صدموا بالتيار الوطني الليبي الذي واجههم بكل بسالة وإيمان كتيار معاكس لتيارهم في العقيدة والعنفوان. فاضطرت قوات الاحتلال كأي قوى غاشمة إلى استخدام كل ما أوتيت من قوة لقهر الليبيين وكان من بين تلك الوسائل هي النفي إلى أماكن بعيدة داخل الرقعة الجغرافية الليبية بوسائل شتى كالمعتقلات، وكذلك الجزر الإيطالية النائية كجزيرة أوستيكا Ustica التي هي محل اهتمامنا في هذه المساحة الضيقة بضيق رقعتها الترابية، أيضاً جزيرة فاڤينيانا Favignana وبونزا Ponza وتريميتي Tremiti والسجن العسكري في قاييتا Gaeta، وأماكن أخر في داخل أرض إيطاليا.

قصة حب إنسانية وسط وحشية النفي ...

فأردت الاستزادة عن تفاصيل الحياة في أحد هذه المنافي ولم أجد أفضل من العم ڤيتو – مؤرخ أوستيكا – عن التأثير المتبادل جزئية سألته بعدما سمعتها من البعض للتأكيد على مدى استعداده للجواب عن فضولي، وكانت البداية هي ارتباط السيد الحسن،[7] ابن

---

[6]- السنوسي، صالح، الهروب من جزيرة أوستيكا ص 7.

[7]- السيد الحسن (الكبير) هو ابن السيد محمد الرضا المهدي شقيق الملك إدريس. كان يسمى بـ "الحصن"، توفاه الله في فلورنسا بعد مرض ألم به عام 1936م، ورزق والده السيد محمد الرضا بولد أخر سماه على شقيقه الحسن (الصغير) عام 1928م في مدينة بنغازي بمنطقة البركة، الذي أصبح فيما بعد ولياً للعهد عام 1956م وتوفاه الله هو أيضاً في لندن 1992م، ومن ثم دفن في البقيع بالمدينة المنورة.

السيد محمد الرضا،[8] أو الحصن كما يعرف بين السادة السنوسيين، بإحدى جميلات الجزيرة.

تردد العم ڤيتو شيئاً ما في بادئ الأمر، ثم حكى لي القصة كاملة كما تناقلها بشيء من الاستحياء، ومفادها أن السيد الحسن الرضا قبض عليه الطليان بعد فشل مفاوضات سيدي ارحومه عام 1929م التي رافق فيها كبار قادة الجهاد، وكان عمره لا يزيد عن 18 عاماً، وقد تقدمهم الشيخ القائد عمر المختار، وقد نقل مع زوجته زينب ابنة محمد السوداني وهناك أنجبت له بنتاً سماها عائشة، ولكن يبدو أن السيد الحسن أُعجب بابنة عميد البلدية المنصب Podesta، يدعى "قايتانو لنسي Gaetano Lenzi" من قبل السلطات الفاشستية على أوستيكا اسم ابنته "أوروا Aurora"، وقد اشترط أبوها مهراً تعجيزياً بلغ نصف مليون ليرة، وعندما سألت العم ڤيتو عن قيمة المبلغ أخبرني بأنها تساوي ميزانية أوستيكا الجزيرة لمدة سنة. وقد أعجبت اوروا بالسيد الأسمر، واحبت شخصيته الودية، وطيبة معشره، ولكن كان لسلطات الفاشست رأي آخر فقامت بإعفاء والد الفتاة من مهامه كعميد مكلف لأوستيكا، ونفي السيد الحسن الكبير إلى جزيرة تريميتي، وتم السطو عليه، حيث كانت تدفع السلطات الإيطالية مبالغ له ولبعض المنفيين من الوجهاء رواتب شهرية.[9] ومن بعد نقل السيد الحسن إلى فلورنسا حيث

---

[8]- الأمير محمد الرضا المهدي السنوسي هو شقيق الملك محمد ادريس السنوسي رحمه الله، تقلد منصب ولاية العهد بعد الاستقلال مباشرة حتى وفاته عام 1955م، ثم خلفه في ولاية العهد عام 1956م، ابنه الأصغر الأمير الحسن الرضا السنوسي رحمه الله وبقي في هذا المنصب حتى قيام الانقلاب عام 1969م. أبناء الامير محمد الرضا السنوسي رحمه الله هم بالترتيب:

1- السيد محمد الصديق الرضا السنوسي رحمه الله (1907-1962م).
2- السيد الحسن الرضا السنوسي (الكبير) رحمه الله (1911-1936م).
3-السيد السنوسي الرضا السنوسي رحمه الله (1915-1984م).
4- السيد مصطفى الرضا السنوسي رحمه الله (1923-2002م).
5-السيد الأمير الحسن الرضا السنوسي (الصغير) رحمه الله (1928م-1992م) ولى عهد المملكة الليبية.

[9]- تصل في بعض الأحيان إلى 4000 ليرة التي قد يشتري بها بيتاً في أوستيكا (المحرر: لا أعتقد أن هذا الكلام دقيق، بل من باب المبالغة).

أصيب بمرض لم يمهله كثيرا، فتوفاه الله تعالى في المستشفى هناك. أما الجميلة أورورا فربطت على عهده بقية عمرها بالعزوبية حتى مماتها.

وهنا حق لي أن أتسأل كيف لهذه الشقراء العزباء الكاثوليكية الحرة أن تقع في غرام هذا السيد الأسمر المسلم المتزوج، الأسير عند قومها أسياد الجزيرة.

بالرغم من أن السيد الحسن جنح للسلم وابتعد وكون معسكراً لاتباعه مونه الطليان حتى عرف بـ "دور الدقيق"، نظراً لكمية طحين الشعير والقمح الذي سلمته لمعسكره، ولكن كما هو دأبها غدرت الحكومة الإيطالية في برقة بالسيد حسن الرضا واشتبكت مع قواته بعدما اتفق مع عمر المختار، وكانت معركة عنيفة ودامية مع الطليان قتلوا فيها عددا لا بأس به من المجاهدين، بالإضافة إلى تأثره بما حل بوالده السيد الرضا الذي أسرته القوات الإيطالية ونفته إلى أوستيكا عام 1927م،[10] وسرعان ما وقع السيد الحسن ومن نجا ممن معه في الأسر عام 1930م ونقلوا إلى بنغازي ومنها نفي إلى جزيرة أوستيكا وبعدها تريميتي ثم إلى فلورنسا التي أدخل فيها المستشفى – كما ذكرنا سالفاً – وتوفي ليرجع جثة هامدة في صندوق حديدي ويدفن في بنغازي عام 1936م.[11]

[10]- خلال أول اجتماع انعقد بين عمر المختار والعقيد جوزيبي ديوديتشي Giuseppe Daodiace في 20 مارس 1929م في القيقب أصرَّ الشيخ عمر المختار أن تبدي الحكومة الدليل على حسن نيتها قبل الاجتماع بإطلاق سراح السيد محمد الرضا وإعادته من منفاه بإيطاليا إلى برقة.

[11]- وليد شعيب، ملابسات تعاون بعض مشايخ برقة، ص 48-50.

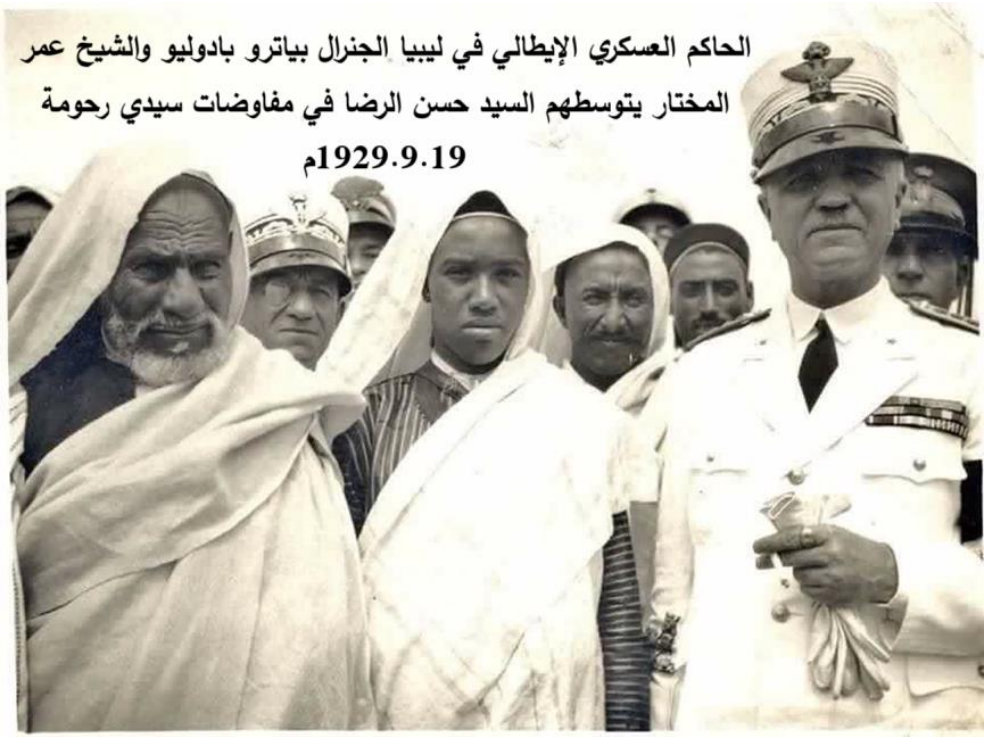
الحاكم العسكري الإيطالي في ليبيا الجنرال بياترو بادوليو والشيخ عمر المختار يتوسطهم السيد حسن الرضا في مفاوضات سيدي رحومة 1929.9.19م

وطال النفي عائلات بأكملها كعائلة الحاج منصور الكيخيا الذي توفي في ديسمبر 1931 عن عمر ناهز الـ 99 عاماً، وهو من افتتح جامع القوارشة وجلب قراء على روح عمر المختار الأمر الذي استمطر عليهم غضب الطليان، ولكن لتدخل الشيخ عبد الحميد الديباني كان له الأثر الإيجابي بإخراجهم من السجن.

النفي بالجملة ...

فعندما تم نفي الحاج منصور كان عمره 80 عاماً عام 1912م، وكان معه أبناؤه: عمر ومحمد ورشيد، وأحفاده أبناء عمر: فتحي وحليمة، وكذلك زوجة عمر باشا عائشة بن

زبلح، ومن رجالات بنغازي عبد الله بالعون الذي ترجم بين المارشال بادوليو[12] والشيخ عمر المختار في مفاوضات سيدي ارحومة في 19 يونيو 1929م، وقضى أربع سنوات في المنفى، وكذلك محمد بن كاطو ومحمد إبراهيم منينه ومحمد عبد الله ستيتة والسنوسي جبر المغبوب، ومحمد بوزيد الكوافي وحمد محمد بونجوى المسماري وشقيقه سعيد ومصطفى الساقزلي ويوسف لنقي وصالح المهدوي وحسين باشا كويري وحسين باشا بسيكري ومحمد الزغيد وعلي بوقرين وغيرهم. ومن درنة مفتاح اسويحل استيتة الذي كلفه السيد أحمد الشريف بمسؤولية تموين مجاهدي درنة؛ وتم نفيه إلى جزيرة فاڤينيانا عام 1929م وكذلك صالح سليمان استيتة؛ وهناك من وافتهم المنية في المنافي من أمثال بوشناف بسيكري وسليمان منينة عام 1916م جراء إصابتهم بمرض الملاريا الفتاك. وبعدها بسنين قليلة رجع آل الكيخيا من المنفى، ولكن تم نفي الحاج منصور وأولاده مجدداً عام 1923م ولكن بدون النساء، أما عمر باشا فقد تم نفيه للمرة الثالثة إلى عدة أماكن في إيطاليا آخرها روما وقد أنقذته القوات الأمريكية المحررة عندما اقتحمت المدينة عام 1945م.

لم يقتصر النفي على السكان في المدن الرئيسية مع صعوبة القبض على البادية التي دائماً في حلها وترحالها، حتى قال قائلهم: "عز البوادي كل يوم رحيل". ومن أولئك كان شباب من منطقة سيدي خليفة[13] على أطراف بنغازي منهم يونس محمد حمد بورميلة نجم وجيرانه الإخوة عبد العالي – وعبد الحميد وعبد العزيز – أبناء محمد شغيلة فكرون ماضي يوم 19 أبريل 1917م وعمره لم يتجاوزالـ 23 عاماً بعد، وبقوا في جزيرة فاڤينيانا حتى عام 1924م، ثم رجعوا باستثناء يونس محمد نجم الذي توفاه الله هناك. وقد عملوا

[12]ـ تم تعيين المارشال بادوليو حاكماً على طرابلس وبرقة في شهر يناير من عام 1929م.
[13]ـ كانت أيضاً تعرف المنطقة بـ حنظلة أم الغزلان قبل أن يخلع عليها الأهالي تسمية سيدي خليفة حفيد سيدي خريبيش.

في مصنع لتعليب أسماك التونة، الأمر الذي ساعدهم على التغلب على سوء التغذية التي يعانون منها وذلك بالتهام ما يمكن من فضلات التونة خلسة حتى تعينهم على الشر الأسود على حسب تعبيره. ويذكر عبد العالي أثناء عودتهم إلى بنغازي في البابور (السفينة) مات أخوه عبد الحميد من المعاناة، فوضع البحارة الطليان على جسده ثقالة

حديدية ورموه طعماً للأسماك في لجاج البحر المتلاطمة.[14]

من طرائف المنفى في أوستيكا أن ثمة مقهيان متقابلان كانا يتسابقان في استقبال الزبائن الليبيين المنفيين بدون أن يدفعوا أي شيء، وعندما تحروا عن سبب الكرم المفرط تبين أن الليبيين بزيهم العربي كانوا يجلبون المتسوقة والناظرة للفرجة على تقاليد وملابس العرب الليبيين إلى المحل ما جعل الإقبال عليه أكبر وأكثر رواجا.

[14]- هذه الرواية نقلاً عن الحفيد إبراهيم عبد الحميد عبد العالي ماضي.

لا نعرف عدداً دقيقاً لمن استشهد في المنافي وأين دفنوا تحديداً، ولم نجد لهم خلفة من الذرية، ولكن كانت هناك الدفعة الأولى من ضحايا المنفى 132 شهيدا ثم 6 شهداء وبعدها الدفعة الثانية 141 شهيدا، فالمجموع 279 شهيدا، كلهم دفنوا في المقبرة العربية بالجزيرة.

أيضاً تذكر بخجل بعض المصادر الإيطالية بأن مدير السجن بالمنفى انتونينو كوتريرا Antonino Cutrera ذهب في يناير 1913م مع بعض الأسرى المحررين ورفقة 132 جثة فارقت الحياة سلمها للسلطات المعنية في طرابلس ومن ثم رجع. وعادة تدفن الجثث في اليابسة برعاية وزارة الداخلية الإيطالية بالمستعمرة، فقد أوضح المؤرخ نيكولا لابانكا Nicola Labanca أن هذه الحقائق موجودة في وثائق وملفات رسمية، ولكن هناك في إيطاليا من يضع العراقيل أمام الباحثين لدراسة هذه الحقبة باستفاضة.[15] وهذا جاء على خلفية تاريخية شرعية مقاومتنا على ضعفنا أن الفاشية والنعرة الاستعمارية خطأ كلفنا نصف سكان برقة من منافي ومعتقلات .. إلخ.

الشلماني شاعر المنافي ...

الحياة في المنافي كانت صعبة جداً، فقد أجاد وصفها الشاعر المجاهد حسين الفضيل الشلماني في عدد من القصائد التي تعتبر وثائق تاريخية، فهو من ساقه القدر من طبرق إلى سلوق يبحث عن أبله التي ضاعت منه، فنمى إلى مسامعه إنها قد وصلت سلوق وتمت مصادرتها من قبل الطليان، وبعدها انتقل إلى قمينس، وقبض عليه بتهمة التخابر

[15]- ندوة نظمتها جمعية تاريخ وذاكرة الجمهورية الإيطالية بالتعاون مع مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية في روما تحت عنوان "معسكرات الاعتقال الإيطالية في ليبيا عنف استعماري" يوم الأول من ديسمبر 2006م.

مع المجاهدين، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة ثلاثين سنة، وبالنفي لقضاء مدة الحكم في إيطاليا ليصل لجزيرة فاڤينيانا ويقضي بسجنها سنوات سبعاً؛ حيث حرر فيها شهادات وفاة بعض ممن استشهدوا وكانوا معه خاصة في فاڤينيانا كالشيخ الساعدي الشريف الرفادي الذي اختفى فجاءة فلم يعرف ذوويه مصيره إلا بعدما عاد الشلماني لوطنه وسمعوا قصيدته التي أكد فيها نفي الشيخ الساعدي، ثم وفاته ودفنه هناك، وهنا يصف بأسى الشلماني منفاه في جزيرة فاڤينيانا التي كرهها فيقول داعياً المولى عليها:

خــرب قرارك دوم يا فنيانا

بلاد الكدر والمرمدة والهانـة

الله يخربـــــــها

من حدها م الشرق لا مغربها

هذي بلاد ما تعرف الله عربها

ولا عندهم ع المسلمين حنانة

الله يزيد خرابـــــك

وجعنه بزايد مو شوي عطابك

واجعن اصحابي غالبين أصحابك

يا خالق المخلوق يا مـولانا

ثم يستذكر بحزن وهو في الأسر الوطن والأحبة، فيقوده الحنين للبكاء على الذكريات، ويخاطب طائراً مر به يشكو إليه غربته وضعفه لعله ينقل أشواقه مبللة بسلام دموعه لهم:

يا طير يا طيار يا حايم السما

يا اللي خلق لك ربنا جنحان

تعال هنا نحكي لك علي حال ما جرى

راني غريب وأنت م الحبان

سلم لي علي لجواد فرسان القسا

حماة السخايا ساعة الزنان

على كبارهم وصغار واللي ف الندا

وجار جارهم واللي يلحظ النيران

وعلى وطننا كله عموم على ولا

حتى كلابهم والذيب في الوديان

والساعدي اللافي عالي النقب والنبا

ركاب من توالي سمحة الردحان.[16]

[16]- ديوان الشاعر المجاهد فضيل حسين الشلماني (شاعر معتقل فافنيانا) تحقيق وشرح يونس فنوش والهمالي شعيب 2004م.

فقد عاشوا جزء من الحياة هنالك في بعض المنافي عيشة لا يرتضيها إنسان سواء يدعي أنه من صناع الحضارة أو ينتمي إلى جنس البشرية؛ فالحياة تتوقف جموداً بحظر تجوال يبدأ من الساعة 5 مساء حتى تباشير الصباح، ومع هذا حاول هؤلاء المساكين أن يتكيفوا مع الواقع بما فيه من مرارة وعلقم، فعادة ما يطبخ المنفيون لأنفسهم، وهم من أدخل جلسات شرب الشاهي إلى الجزيرة ومنها اقتبسها الطليان. كذلك توجد دروس لمن أراد تعلم الإيطالية ودروس عربية لمن أراد تعلم العربية من الأسرى الطليان خاصة اليساريين منهم وخصوم الفاشية.

المنفيون يستنجدون بالشارف باشا الغرياني ...

أيقن المنفيون الليبيون من برقة في الجزر النائية الإيطالية أنه لا مفر لهم من حياة البؤس والنكد في تلك الجزر القاتلة إلا اللجوء إلى أهل الفضل والنجدة، فقد كتب أولئك المبتلون رسالة إلى الشارف باشا الغرياني يطلبون فيه التدخل لفك أسرهم لما يعرفونه فيه من إخلاص للوطن وبنيه، وكان من بين أولئك الأسرى كل من يوسف لنقي، الرجل الغني عن التعريف، وصالح المهدوي الذي كان عميداً لبلدية بنغازي، وبين من قاتل في جليانة حتى قيل إن امرأة كانت "تقذر" (تغني وتهتزج) وتقول:

شيال أعلام الدين حيا الله يا بو المهدوي

وتقصد صالح المهدوي، أما الآخر فكان حسين باشا كويري، الذي كان قائداً لجيش أركان شريف مكة في الحجاز الذي قاد الثورة ضد الأتراك فيما عرف بالثورة العربية الكبرى عام 1916م، وقد بعثا ووقعا الرسالة المهدوي وكويري نيابة عن المعتقلين بجزيرة أوستيكا عام 1925م، وصلت الرسالة إلى الشارف الغرياني، واشتكيا فيها من ضيم

وظلم العملاء والخونة للشارف الغرياني، وشكرا الباشا على نجدته لهما مما رماهما به الدهر على يد أولئك الساقطين من أبناء جلدتنا، وهذه دلالة صريحة على أن الشارف الغرياني رجل تمتع بوطنية ودين افتقدهما الكثير ممن تعامل مع الطليان في تلك الظروف حالكة السواد فكتب:

"بعد إهداء السلام الممجوز بآيات الثناء والعطر والشكر اللائق بكم جميعاً نحيطكم علماً بأنه حضر لنا مشرفكم الكريم رداً على استرحامنا المتقدم إلى اللجنة باسم سعادتكم فتلوناه على جميع الرفقاء الذي هللوا له وكبروا شكراً لله تعالى الذي جعل في الأمة رجالاً من ذوي القلوب الطاهرة والوجدان المنزهة من أدران الأغراض الساقطة فلبو دعوتنا وعقدوا الخناصر على نجدتنا مما رمانا به الدهر على يد أولئك الساقطين من أبناء جلدتنا الذين هم لا يراعون في الله إلاً ولا ذمة.[17]

فشكرناكم وشكرنا لعموم اللجنة تلك التلبية وتلكم المساعي التي فتحتم بها جميعاً أحسن قيام والتي سيبقى لجميعكم بها ذكراً خالدا ...[18]

[17]- نجم، فرج عبد العزيز، سير الأجداد بين الابتلاء والغبن والتخوين الشارف باشا الغرياني أنموذجا ص 75-76.
[18]- راجع: كتاب سلسلة الوثائق رقم 19 بعنوان "من رسائل المنفيين" رسالة رقم 49، ص 163-164.
وللتعرف على شخص حسين كويري وسيرته العسكرية راجع الوثائق الإيطالية المجموعة 26، المجلد الأول من منشورات مركز جهاد الليبيين لعام 2001م.

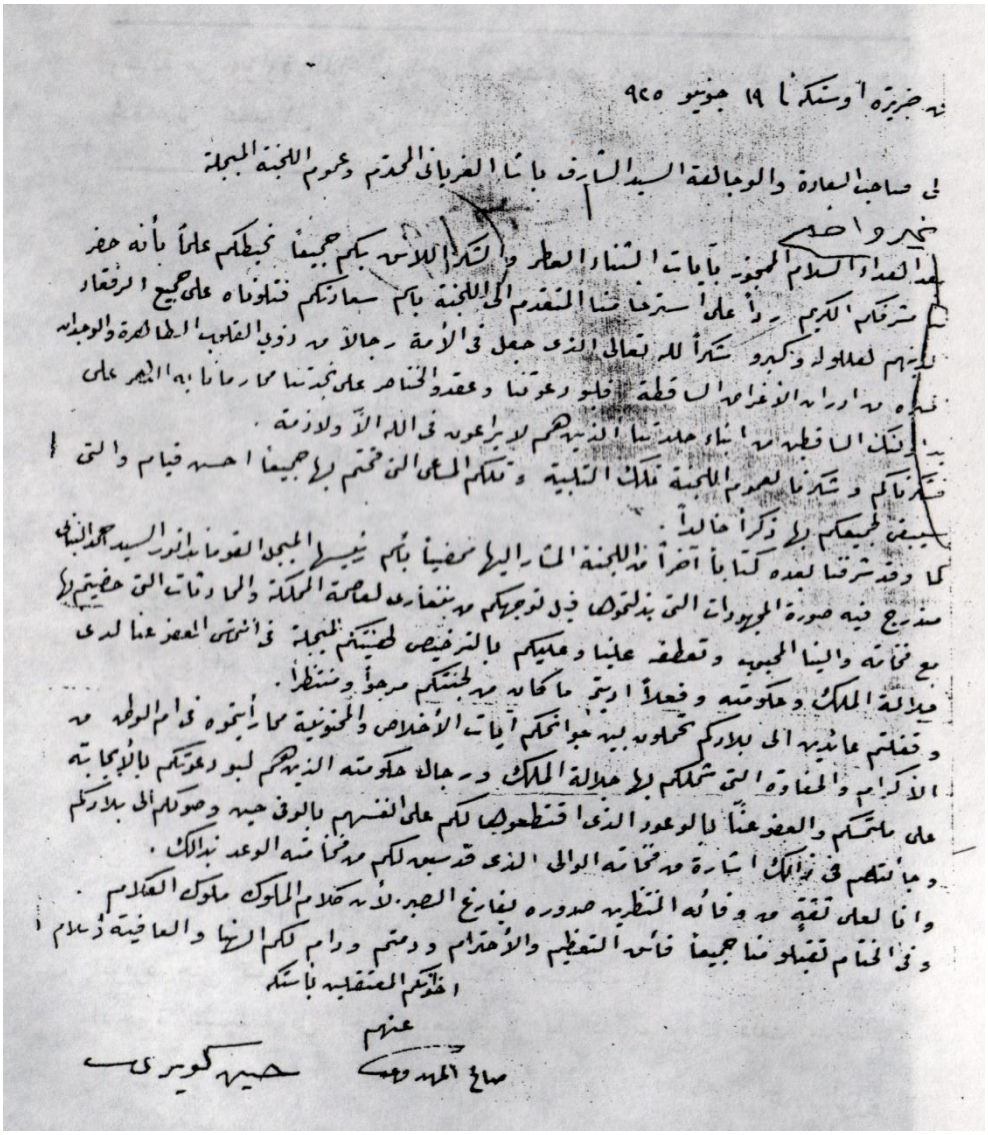

جزيرة أوسنكا ١٩ جونيو ٩٤٥

الى صاحب السعادة والوجاهة السيد الشريف باشا الغرياني المحترم وعموم اللجنة المبجلة

حضرة واحد

بعد السلام المعنون بآيات الثناء العطر والشكر الأسمى بكم جميعاً نخبطكم علماً بأنه حضر سترتكم الكريم - وأعلن استرحاشنا المتقدم الى اللجنة باكم سعادتكم فتلوناه على جميع الرفقاء لديهم لعلمكم وكبرو شكراً لله تعالى الذى جعل فى الأمة رجالاً مثلكم ذوى القلوب الطاهرة والوجدانية فيه ورأينا الوفاء الى قطعة خلو وعوتنا وعقدوا الخناصر على تحديتنا محاربتنا به الغير على بيننا فنك الى قطعة من أبناء جلدتنا الذين هم لا يزعمون فى الله الا ولا ذمة.

شكرناكم وشكرنا لعموم اللجنة تلك التلبية وتلكم المساعى التى قمتم بها جميعا احسن قيام والتى جميعكم بكل ذكراً خالداً.

كما وقد شرفنا بعده كتاباً اصدرتموه اللجنة المشار اليها مضمناً باكم شيئاً المجد القومى لدولة السيد احمد النبهانى مندرج فيه صورة الموجودات التى بذلتموها فى توجهكم من بنغازى لخدمة المملكة والمواقات التى حضيتم بها مع فخامته والينا المحبوب وتعطفه علينا وعليكم بالترفيض لحضرتكم المبجلة فى اشتراك المعضوعنا لدى جلالة الملك وحكومته وفعلاً اريتم ما كانه من حضرتكم مرجواً ومنتظراً.

وقضتم عائدين الى بلادكم تحملونه بين جوانحكم آيات الأخلاص والمحبوبية كما أبتموه قدام الوطن من الاكرام والحفاوة التى شملكم بها جلالة الملك وجاله حكومته الذين هم لبو دعوتكم بالأجابة على ماتسألكم والمضوعنا بالوعود الذى اقتطعوها لكم على انفسهم بالوفى حيه وصولكم الى بلادكم وبانتظام فى ذراك اشارة من فخامته الوالى الذى قد سبعه لكم من فخامته الوعد بذلك.

وانا لعلى ثقة من وفائه التظيم صدوره لفارغ الصبر لأنه كلام الملوك ملوك الكلام.

وفى الختام تقبلوا منا جميعاً فائق التعظيم والأحترام ودمتم ودام لكم الرخا والعافية دعلام

اخوكم المستقبلين باستنكه

عنهم

صالح المهدوى حسين كويرى

قولاً واحداً ...

إن هذا الكتاب يعتبر وثيقة معتمدة جاءت لنا ببعض من آلامنا، وإن كان فيها تركيز على الجانب الإيطالي أكثر من الليبي، ولكن ما لامسته من الزملاء الذين استقبلونا في أوستيكا بكل ترحاب وحفاوة يؤكد حقيقة أن إيطاليا اليوم ليست إيطاليا الأمس، فيكفي إيطاليا شرف الشجاعة بالاعتراف بالماضي البغيض، وقد أقرت بذلك،[19] وإن شاب الموضوع قلة الصراحة والشفافية الكافيتين، ولكن إيطاليا هي أول أمة أوروبية استعمارية تعترف وتستنكر ماضيها البشع، عكس بريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرها من الأمم التي رفضت الاعتراف، بل مازلت تفتخر بعار الماضي.

فإيطاليا شنقت موسوليني في محطة بنزين في نابولي، وأودعت غراتسياني السجن، وبعد محاكمته أخرجته هرماً ليموت مكتئباً. ومن باب الشيء بالشيء يذكر، لم تعامل شيخنا ورمز مقاومتنا عمر المختار بالمثل، بالرغم من كبر سنه، وضعف حاله، فشنقته تشفياً في أحد أسوأ المعتقلات العشرين التي نصبتها للأهالي في برقة من 1930 إلى 1933م، الذين لم تكتب الحياة لنصف عددهم في تلك المعتقلات اللاإنسانية؛ لا لشيء إلا لإصرارهم على كرامتهم وإنسانيتهم في العيش أحراراً في وطنهم.

---

[19]- قدم رئيس الوزراء سيلفيو بيرلسكوني أمام العقيد معمر القذافي في 30 أغسطس 2008م بقصر المنار ببنغازي أسف واعتذار إيطاليا لليبيا عن الحقبة الاستعمارية، وانحنى أمام الحاج محمد أبن عمر المختار وقبل يده. ووقعت ليبيا وإيطاليا «اتفاقية تعاون وصداقة» تقضي بدفع تعويضات إيطالية عن الحقبة الاستعمارية لليبيا قدرت بخمسة مليارات من الدولارات، على مدى السنوات 25 تعويضاً عن الفترة الاستعمارية تشمل تنفيذ الطريق الساحلي الممتد من شرق ليبيا إلى غربها، ومشاريع إعمارية أخرى مع إعراب الحكومة الإيطالية عن «أسفها للآلام التي سببها الاستعمار الإيطالي للشعب الليبي». وقد سبق وقامت الحكومة الإيطالية بنفس الشيء لحكومة مصطفى بن حليم عام 1956م، ليعود ويؤكد بيرلسكوني بعد أكثر من نصف قرن أن بلاده ستدفع أن هذا الأمر هو «اعتراف أخلاقي بالأضرار التي لحقت بليبيا من قبل ايطاليا خلال فترة الحكم الاستعماري».

كي لا ننسى ...

هذا الكتاب الذي أخرجه الزملاء الإيطاليون اعتبره إقراراً واعترافاً بالجرم العظيم الذي ارتكبه آباؤهم وأجدادهم في آبائنا وأجدادنا، وبه نستطيع أن نتجاوز هذا الماضي البغيض، وليس ببعيد حين أحمد شوقي – أمير شعراء العرب – سجل لومه وتوبيخه في مرثيته الشهيرة للشهيد المختار حين أنشد:

رَكَـزوا رُفاتَكَ في الرِمـالِ لِـواءَ
يَستَنهِضُ الوادي صَباحَ مَساءَ
يا وَيحَهُم نَصَبوا مَنـاراً مِن دَمٍ
توحي إِلى جيلِ الغَدِ البَغضاءَ
ما ضَرَّ لَو جَعَلوا العَلاقَةَ في غَدٍ
بَـينَ الشُـعوبِ مَـوَدَّةً وَإِخـاءَ

فقد دأب الليبيون على تذكر ما فعلته إيطاليا بهم، فبنوا ضريحاً لعمر المختار في قلب بنغازي عام 1960م،[20] وصنعوا فيلماً عن جهاد وملحمة عمر المختار "أسد الصحراء" أنتجه المخرج الأمريكي السوري مصطفى العقاد بعدة لغات عام 1981م، وفي عام 2009م تم التعاقد مع المخرج السوري نجدة إسماعيل أنزور الذي تمكن من تصوير الفصل الأول من الفيلم الذي كتب قصته الزعيم الليبي معمر القذافي.[21] ليكشف عن معاناة الليبيين في منافي الجزر الإيطالية ويروي مأساة حقيقية؛[22] ولكن هذا العمل الواعد لم ير النور، واعتبر أنزور أن من شاهدوا المقاطع المصورة أجمعوا على أن

[20]- وإن تم هدمه من قبل نظام القذافي عام 2000م لكن أعدنا بناءه عام 2021م.
[21]- نقلاً عن موقع قناة الجزيرة 2007.11.28م.
[22]- التقيت بالدكتور علي فهمي خشيم ونجدة أنزور كل على حدى في لندن عام 2007م، وحدثاني على كيف كتب القذافي السيناريو في 7 صفحات ليتطور ويصبح عملاً سينمائياً فريداً لم يسجل منه إلا 14 دقيقة .. وكم تأسفت على عدم إتمامه الذي كان سيكون مكملاً لفيلم عمر المختار.

عدم استكماله سيضيع على السينما العربية فرصة عالمية لتقديم فن على مستوى راق وأضاف في 14 دقيقة للتعرّف إلى المستوى السينمائي الذي كان يطمح إليه أنزور، ولكن أوقفت السلطات الليبية الفيلم بعدما وقّعت وضمنت التعويضات بموجب اتفاقية الصداقة من إيطاليا.

وقال أنزور: يبدو واضحاً ان الفيلم تجربة سينمائية عالمية لم تكتمل لأسباب سياسية تتعلق بالعلاقات الليبية–الإيطالية. فالفيلم يتناول معاناة الشعب الليبي جراء الاحتلال الإيطالي لليبيا. ويعرض الجزء الذي تابعناه وتم تصويره في جزيرة تريمتي في إيطاليا كيفية معاملة الأسرى الليبيين من قبل قوات الاحتلال الإيطالي، وكيفية إجبارهم على تنفيذ أعمال شاقة طوال النهار، سيدفع كل من يتخاذل عن تأديتها عمره ثمناً.[23]

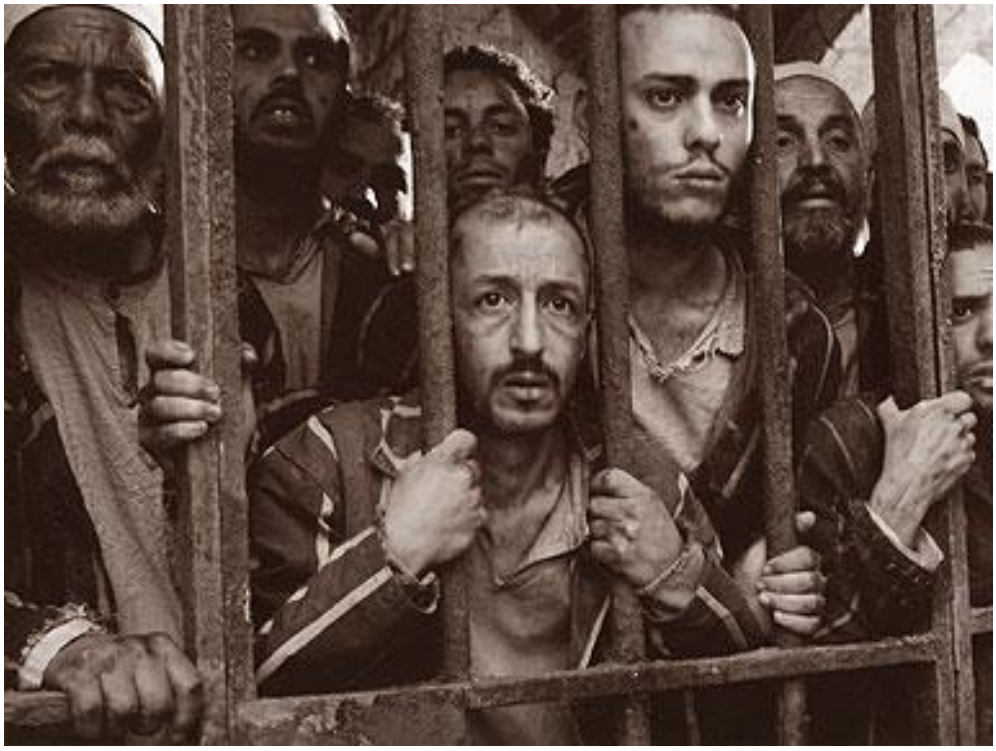

[23]- نقلاً عن ميدل ايست اونلاين - المنارة، 2009.12.7م.

عليه نرى ما قام به الزملاء في إيطاليا وخاصـة مركز الدراسـات والتوثيق في أوسـتيكا عمل يسـتحق الثناء وعرضـه على القارئ العربي والمهتم بمعاناة الإنسـان أينما كان لاستخلاص العبر والدروس لكي لا ننسى ولا نكرر تلك الفجائع.

دموع العودة ...

"**عودة المنفيين الليبيين في أوستيكا**" هذا ما عنونت به جريدة بريد برقه التابعة للحكومة الإيطالية في برقة بتاريخ 31 مارس 1934م:

الحكومة تبدي رحمتها وكرمها نحو الأهالي بمناسبة عيد الأضحى بإطلاق سراح المعتقلين المنفيين بجزيرة أوستيكا الإيطالية.

خطاب الحاكم العسكري الإيطالي للمنفيين ومن بعده الجنرال غراتسياني:

إيها المعتقلون سابقاً في أوستيكا:

حسن بن علي الخطابي

محمد بوزيد

حسين بسيكري

محمد ابراهيم امنينه

محمد عبد الله امنينه

محمد الساقزلي

حسين كويري، عبد الله بالعون وعبد السميع العبار

وستبقى **ذكرى نفي الليبيين إلى الجزر الإيطالية والتي تصادف يوم 26 أكتوبر من كل عام تدق في عالم النسيان.**

وهذه بعض صور تجسد مأساة الليبيين.

نقل المنفيين بقوارب صغيرة من وإلى السفن الكبيرة نظراً لعدم عمق المياه في مرسى الميناء.

ليبيون منفيون في جزيرة ترميتي عام 1911م.

(4) صورة للمعتقلين المقيدين إلى بعضهم البعض بالسلاسل .

مجموعة من المنفيين الذين تم تشغيلهم داخل المصانع الإيطالية

مجموعة من الليبيين المنفيين فى احد السجون الإيطالية

مجموعة من المنفيين الليبيين الذين تم تشغيلهم داخل السجون الإيطالية

مجموعة من الليبيين المنفيين فى احد الميادين بايطاليا

هذه الصورة تضم مجموعة من الأسرى الليبيين بجزيرة أوستيكا – إيطاليا سنة 1922م وأسماؤهم حسب الأرقام:

1.أحمد بوريمه 2. يوسف العجالي 3. محمد الزغيد 4. علي بوقرين 5. الشيباني المعداني 6. عبد الخالق الصابري 7. فلاح إيطالي 8. عبد الله مليطان 9.معلم إيطالي 10. محمد التريهني (الترهوني) 11. محمد بوزيد 12. حمد محمد بونجوى المسماري (عندما أسر عمره لم يتجاوز 18 عاماً وهو الوحيد الذي استشهد بعد رجوعه من الأسر في معركة ضد الطليان، وشقيقاته الثلاث زوجات عمر المختار ويوسف بورحيل والحسن الرضا) 13. عامل إيطالي 14. مصطفى الساقزلي 15. يوسف لنقي 16. موسى سعيد موسى المسماري.

الحاج حسين باشا بسيكري من أعيان بنغازي، وأحد المستشارين المقربين من السيد أحمد الشريف، وقد عارض الصلح مع السلطات الإيطالية، مما أدى الى تحديد إقامته جبراً، وبعدها نفي إلى إيطاليا سنة 1924م حيث قضى ثلاث سنوات ثم عاد للوطن، وانتخب عضواً في مجلس النواب البرقاوي، وعين قائمقام في إجدابيا.

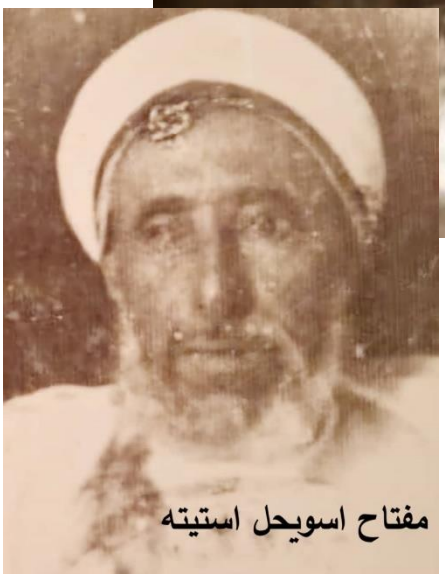

مفتاح اسويحل استيته

السيد الرضا المهدي

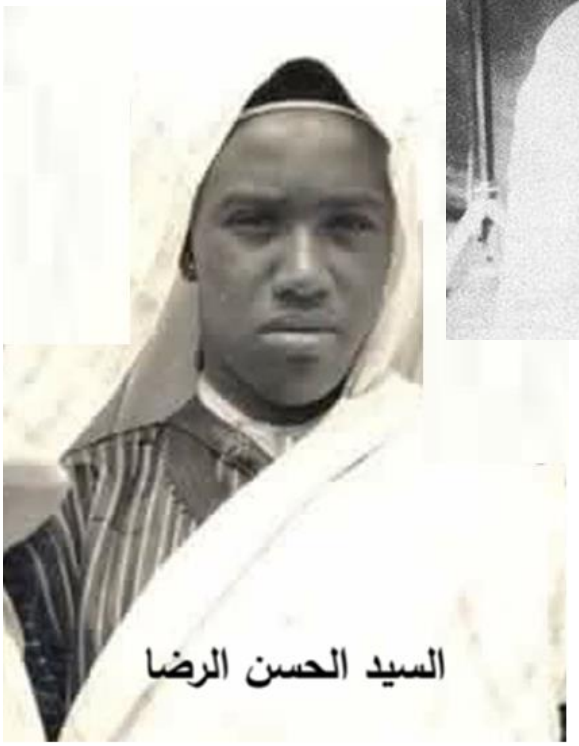

السيد الحسن الرضا

المنفيون في جزيرة فاڤينيانا عام 1914م:

الشيخ السنوسي جبر والحاج منصور الكيخيا والسيد امحمد جبريل (من درنة) أما الأطفال في أسفل الصورة: الثاني من اليمين فتحي عمر الكيخيا (حفيد الحاج منصور) والرابع رشيد منصور.

الوثيقة رقم [48]

٤ ـ ماجو ـ ١٩٢٦ م

عن جزيرة أوستيكه

فخامة منقذ الأمة والوحدة الأيطالية البيل موسوليني
رئيس الوزراء دام محترماً

بمناسبة الفوز العظيم الذي حرزتموه ونلتموه على يد فخامتكم الحزب الفاشستي منجي الأمة والوحدة الأيطالية مهد التقدم والأرتقاء في الأنتخابات السياسية وهنيئاً لكم المركز الأعلى لقيادة الشعب وسوقه الى النقطة الحالية بالبسالة والمهابة اللائقة بشعب نجيب لا يتنى مثله بقوده مثل منقذكم مهد أشبال الرومان وأسد بن أسود النسبية الأيطالية التي سطع بوجود فخامتكم في سماء بلادها نجم سعدها البراق.

وبمناسبة زيارة فخامتكم السعيدة لولاية برلمو التي نحن مأسورين بأحدى الجزر التابعة لها مهد أسراء العرب الذين يقدرون البطولة حق قدرها وينزلونها المنزلة الرفيعة مهد نفسيرهم يرفعون لفخامتكم أعظم التحية والاحترام النابعان مهد اعماق أفئدتهم ويهنئونكم بالفوز والنجاح العظيم ويحيون في شخص فخامتكم الشعب النجيب الأيطالي بأسره وعلى رأسه جلالة ملكنا المحبوب.

فالعرب الذين نحن مهد بقاياهم لسالفون ويفخرون بالأنتماء الى الوحدة الأيطالية التي تقودونها والألتفاف حول أترهم ايطالية الرؤفة الكريمة ويتوسلون بأكف الضراعة والأبتهال لدى دولتكم مترجمين الرحمة بهم وبعائلاتهم والعفو عنهم ما مضى شأن الأبطال والزعماء السياسيين القادرين على جبر القلوب وتسخيرها للمصلحة الأيطالية ونعدكم وعداً صادقاً بأننا سنكون لدولتكم وللأمة الأيطالية وللدوسه الملوكي مهاصدة الأنصار وأخلص الموالين وختاماً تفضلوا أيها الأسد المفخم والزعيم الأكرم فائق التعظيم والأحترام مع الرشاف بفليتي الزيم والنجي الأمة الايطالية.

عبد الله علي حوتي محمد بوزيد حميد لكوري يوسف لنقي معمر الى قرار
راجيل بن عبد اللطيف مصطفى طرهونه صالح بن نعوش عثمان بن غرسه عبد الرحمن الزبيدي صالح المهدوي

عبد النبي العبيدي يوسف بوالجود محمد البابور احمد بريمه الشريف عبد الله بريمه صالح عبد الله بريمه
محمد بوخوه محمد التركي العبروك بوهروه الفطاي يوسف العجال محمد بريمه التونسي

علي حوتي مصطفى عبيد الوفي علي بوزيد محمد الزعيد صالح النمر

المنفيون الليبيون إلى أوستيكا

من 1911 حتى 1934م

تأليف: فيتو أيلارا وماسيمو كازيرتا

ترجمة: يونس فنوش

إهداء

في ذكرى ضحايا أي حرب وأي نفي عن الديار

إلى أجيال الشباب: اليوم وغداً، لكي لا ننسى..

تنطلق فكرة إنجاز هذا الكتاب الوثائقي عن نفي الليبيين إلى أوستيكا من الحاجة إلى تزويد المعرض، بدعم يمكن أن يسهم في توسيع روح الفهم والفائدة.

ولئن كان الكتاب ليس إرشادياً بالمعنى الضيق، فإنه يستخدم المواد المصورة والتوثيقية، ومن ثم فهو يدعم فكرة المعرض، بتضمينه وثائق جديدة وكتابات.

شكر وتقدير

يشكر المؤلفون كل أولئك الذين أسهموا، بطرق مختلفة، في إنجاز هذا المعرض وهذا التعريف به.

ويودون بشكل خاص توجيه الشكر إلى جوليو كالديرارو Giulio Caleraro، نائب رئيس مركز الدراسات، لمساهمته المتميزة في الإعداد، فرانكو موريستا مارتيني Franco Foresta Martin رئيس المركز لدعمه المبادرة، ومساهمته في قراءة النص، واقتراحاته المفيدة، جوفانا دلفيني Giovanna Delfini، كاتبة العديد من المقالات حول سياسة النفي والإقامة الجبرية ضد الفاشية.

ويعبر المؤلفون عن العرفان والفضل للوتشانو ناستيكو Luciano Nistico، الباحث في موضوع نفي الليبيين إلى إيطاليا، لبحوثه التوثيقية. وإلى باولو جراتسيوزي Paolo Graziosi، المؤلف اللامع للعديد من المقالات وكاتب الرسالة العلمية عن الليبيين في أوستيكا، وإلى اليونورا إنسالاكو Eleonora Insalaco وفرانشيسكا دي باسكوالي Francesca di Pasquale، واضعي عدد من الرسائل العلمية حول الموضوع نفسه.

كما نشكر فرانشيسكو بريستوبينو Francesco Prestopino، ميريللا كورشيو Mirella Curcio ودوميتيللا كامبانيلي Domitilla Campanile ونينو بادالامنتي Nino Badalamenti وجوليو كالديرارو Giulio Calderaro وجوزيبي جاشينو Giuseppe Giacino وماريلا باراكو Mariella Barraco، وأحفاد سكالاريني Scalarini لمساهماتهم في البحوث المتعلقة بالصور، وباولو بيلانتي Paolo Pelanti لمساهماته في أعمال المراجعة للنصوص.

ونذكر بتأثر شديد أنجيلينا أيلارا ناتالي Angelina Ailara Natale وسالفاتوري جاردينو Salvatore Giardino وإيجيديو ليتشاردي Egidio Licciardi وكونشيتا ماجوري Concetta Maggiore، الذين قدموا أثناء حياتهم معلومات مهمة حول تجاربهم عن التعايش المباشر مع الليبيين في أوستيكا، والاحتفال السنوي الذي أكد شهاداتهم، كما نوجه التحية لذكرى المصور الأوستيكي جوزيبي باراكو Giuseppe Barraco، صاحب البطاقات البريدية التي زودتنا بالعديد من الصور الثمينة لتلك الأحداث.

ويوجه المؤلفون شكراً خاصاً للأستاذ جانلويجي روسي Gianluigi Rossi، نائب رئيس لـ IsIAO ، وماركو موسكاتي Marco Moscati لتشجيعه عملنا، ولكريستيانا فيامنجو Cristiana Fiamingo لتقييمها الكريم والدعاية للمعرض لدى جهات ذات أهمية كبيرة، والإشادة بجوانبه التعليمية، ونذكر ماريو جنكو Mario Genco للدعم والتعاون، آلدو مسينا Aldo Messina عميد بلدية أوستيكا، الذي أسهم في دعم المعرض وتيسير إقامته في طرابلس.

ويشكر المؤلفون كوستانتينو ترانكينا Costantino Tranchina وجوزيبي جاشينو Giuseppe Giacino لمساهمتهما في إعداد المعرض في مقره في ميلانو، والدكتورة ماريا بينا دي سيموني Maria Pina Di Simone في الأرشيف المركزي للدولة لقيامها دائماً بتيسير أعمال مركز الدراسات التابع لنا.

والشكر أيضاً لكل المعاهد، وخاصة لـ INSMLI في ميلانو، الذين استضافوا معرضنا في إيطاليا وفي الخارج، وأخيراً إلى كل الشركاء في مركز الدراسات الذين دعموا نشاطاتنا البحثية، ما مكن من إحراز النتائج المرجوة.

أوستيكا والليبيون: قرن من التاريخ المشترك

في الفترة ما بين 1911 و1934م أصبحت أوستيكا مكاناً لنفي آلاف من الأسرى الليبيين، نتيجة سياسة العدوان الاستعماري على الشاطئ الأفريقي، التي مارستها أولاً حكومات جوليتي، ثم من النظام الفاشي. إضافة إلى موجات عبرت الجزيرة، من معارضين، ومقاومين، زعماء قبائل أو مواطنين غير مسلحين ومزارعين ليبيين انتزعوا من أراضيهم خلال المداهمات التي كانت تقوم بها الميليشيات الإيطالية. ومئات من هؤلاء بقوا في أوستيكا إلى الأبد، إما مقتولين أو موتى جوعاً، أو من المرض: الكوليرا والسل.

يرجح أن عدد الأسرى الليبيين في سنة 1916م تجاوز الألف وثلاثمائة سجين، وهم يمثلون جماعة تماثل، من حيث العدد، السكان الأصليين في الجزيرة. وقد فرض الحضور الكثيف للعرب، الذي كان محدداً بحالة الأسر، على سكان أوستيكا، للمرة الأولى، تقابلاً من حيث العادات والتقاليد، ومن حيث العقيدة الدينية، التي تختلف كلياً عن عقيدتهم.. فكيف كانت ردة فعل الجزيرة؟

وعلى الرغم من جو الدعاية الضاغطة التي كانت تهدف إلى ترويج فكرة أن عملنا الاستعماري كان من أجل نشر الحضارة، مصنفة السكان الجدد للمملكة، على أنهم ينتمون إلى جنس أقل مرتبة، فإننا يمكن أن نؤكد أن العلاقة بين الأوستيكيين والليبيين، كما ترجمت في أوستيكا، كانت غنية بشواهد التعاضد والإخوة والرحمة.

وقد عمل ممثل الشرطة أنتونيو كوتريرا، بكل ما بوسعه، ليؤمن للمحتجزين ظروفاً صحية أفضل، وللموتى مراسم دفن معقولة. ولم يتأخر سكان أوستيكا في دمج المنفيين العرب في الأعمال اليومية: الزراعة، الصيد، الأعمال المنزلية والتجارية. وفيما بعد لم

يتردد الأوستيكيون في إنشاء علاقات صداقة مع عدد من الباشوات ومع أفراد عائلاتهم، الذين لحقوا بهم. هذه العلاقات، ستبقى في كثير من الحالات قائمة، حتى بعد عودة المنفيين إلى بلادهم.

ولا شك أن الجوانب الإيجابية، لا تنفي ما شاب القصة من عذاب وآلام، امتدت تقريباً لما يقرب من ربع قرن، شهد وجود الجماعة الليبية في أوستيكا، ولكنها تشير إلى أن ثمة وجهاً آخر من العملة، في جو الإمبريالية الطاغية الذي كان يهيمن بقوة في تلك الآونة.

ولم يكن من شأن كل ذلك إلا أن يترك آثاراً عميقة في ذاكرة الأوستيكيين وسلوكهم. فمنذ سنوات الثمانينيات بات من المعتاد أن يقوم العُمد والمواطنون باستقبال الزيارات الدورية التي يأتي فيها إلى أوستيكا ذوو الضحايا، حيث يشاركون جميعهم في احتفالات مكثفة تذكاراً لتلك الحقبة. وقد تم توسيع المقبرة العربية الصغيرة، التي أقيمت إلى جانب المقبرة الكاثوليكية، وأعيد تصميمها معمارياً على الطراز الإسلامي. واليوم لا يستطيع أي زائر أن يزور إحدى المقبرتين دون المرور بالأخرى.

وقد قام مركز الدراسات منذ إنشائه بالعناية بهذا التراث من الذكريات والحضارة، محتضنا في إطار أدبياته تعاوناً من الدارسين لتاريخ نفي الليبيين، من أمثال الصحفي ماريو جينكو، وأبحاث قام بها أساساً فيتو أيلارا وماسيمو كازيرتا، اللذان ألقيا الضوء على جوانب ظلت مجهولة من موجات النفي إلى أوستيكا من خلال تنظيم معارض للصور والوثاق، انتقلت بعد ذلك من أوستيكا إلى أماكن مختلفة في إيطاليا وليبيا، والمشاركة في مؤتمرات تنظمها جامعات، ومراكز بحوث وطنية وعالمية. ويمثل إعداد

هذا الكتاب الوثائقي مجمل ما تم إنجازه من بحوث ودراسات وتعاون قام به مركز الدراسات خلال خمسة عشر عاماً من النشاط.

وعلى كل حال، لا يمكننا أن نخفي أننا شهدنا أحياناً تناقضات بين المعلن والواقع، بين ما تقوله الحكومات وما تقوله الجماعات السياسية. وعموماً لا يمكن الإشارة إلى أننا تعلمنا درساً من التاريخ، إذا كنا نمارس ضد الخصوم السياسيين، ضد اللاجئين والمحرومين، ممارسات شبيهة بتلك التي مارسناها ضد المنفيين، أيام الهجمات الاستعمارية والفاشية. ولهذا الغرض يواصل مركز الدراسات أعماله البحثية والتوثيقية، والتعريف بالمسألة الليبية الأوستيكية، من أجل تحقيق هدف واحد هو أن نستخلص منها دروساً نموذجية في الإنسانية، نقدمها للأجيال القادمة، بعيداً عن أي توظيف جزئي.

- فرانكو فوريستا مارتن
- رئيس مركز الدراسات والتوثيق (جزيرة أوستيكا).

2011-1911م
ماض يجب أن يُضمّن في الذاكرة الجماعية

يأتي هذا الكتاب (2011م)، الذي يقع في إطار معرض المنفيين الليبيين إلى أوستيكا (1911-1934م)، تتويجاً للاحتفالات بالذكرى الخمسين بعد المائة للوحدة الإيطالية التي تمت سنة 1861م واستجابة لما لوحظ أننا في خضم تلك الموجة الطاغية، وبنية تجاوز التجاهل الواضح من قبل المؤسسات والدوائر الأكاديمية المختارة، والمؤرخين والمنظمات الثقافية والأساتذة، قد قررنا التزامن، الذي يتم تجاهله، بالعيد المئة للحرب الإيطالية ضد الإمبراطورية العثمانية، من أجل السيطرة على الولايات (وهو تعبير يعادل تقريباً مصطلح المحافظات)، المعروفة بولايات: طرابلس وبرقة وفزان، التي كونت بعد العديد من المراجعات والتعديلات ما يعرف بليبيا الحالية. وقد مثل تجاهل تلك العملية، التي كانت وراءها دوافع اجتماعية-اقتصادية، بكل التأثيرات الأدبية التي أحاطت بها ودعمتها، عنصراً لا يمكن تجاهله من عناصر الوحدة الوطنية، ولعلها تجد مبررات لها في مشاعر الحرج التي تطغى على الضمير، والتي كانت تستشرف علاقات الاهتمام بليبيا، التي أدت إلى خيبة الأمل في ردود الفعل السياسية تجاه الحرب التي أعلنت ضد الدكتاتور الليبي القذافي، وتجاه العمليات العسكرية بقيادة الناتو، التي أدت إلى تلك الخطوات المتعجلة، التي تمت في تلك الأيام المعروفة من شهر مارس، وهو التاريخ الذي نحتفل فيه في إيطاليا بالوحدة الإيطالية، وقد شهد مشاركة إيطالية نشطة وفي المقام الأول.

ولعل النجاح العارم لتلك التظاهرات الشعبية لم يكن متوقعاً، ونأمل أن تتواصل، من جهة أنها تغطي فراغاً يعيشه المواطنون على مضض، من خلال انتشالها من

النسيان صفحات لم يتم الكشف عنها من صفحات الاستعمار الإيطالي، إضافة إلى أنها تعرضت للإخفاء بأشكال من الرقابة، لا تليق ببلد واع بماضيه الخاص به، وهي كما اختصرها لينين في بيانه التاريخي، ووصفها بأنها "استعمار بائس" أو بالصورة الأقل حدة في صورة استعمار طيب. هذا الوصف المختزل انتهى إلى التقليل من حقيقة وأبعاد ظواهر العنف الممنهج، المرتبطة بغزواتنا المتأخرة، وأساليبنا في الإرهاب العسكري، التي اتبعت سواء في المرحلة الليبرالية أو الفاشية، من خلال تحويل عدد من الجزر الإيطالية إلى معتقلات: أوستيكا، فافنيانا، بونزا، تريميتي، إلى معسكرات الاعتقال التي ضمت، خلال حملة غراتسياني لإحلال السلام، وخلال الحرب العالمية الثانية، المعارضين الأفريقيين، وكان من أشهرها معتقل نوكرا في إريتريا ومعتقل داناني في الصومال، ناهيك عن عمليات الإعدام شنقاً والقتل الجماعي التي لحقت حتى السكان المدنيين، وقد تعرضت لها كتابات نقدية كثيرة في أكثر من مناسبة، مثل كتابات سكالاريني (الذي سوف يكون هو نفسه ضيفاً في الجزيرة – المعتقل أوستيكا)، التي ظهرت منذ 1911م.

هذا الماضي إذن، لم تتم مناقشته أو الغوص في أبعاده في الضمير الجمعي الإيطالي، لبيان كيف كان في الحقيقة، وهل كان بالفعل مختلفاً عن الاستعمار الذي مارسته دول أوروبية أخرى، على الرغم من أنه أكثر اختصاراً، فبالمقارنة بالاستعمار الألماني، قد استمر أكثر قليلاً من 60 سنة، وجغرافياً كان أقل اتساعاً، ومثل من الناحية الاقتصادية خسارة كبيرة، مقارنة بسائر حركات الاستعمار الأوروبية. لقد كان الاستعمار الإيطالي، من جهة أنه كان سياسة مبرمجة للتوسع السياسي والبشري والاجتماعي، الذي شغل بلادنا، حافلاً بالآثار بالنسبة للوحدة الوطنية، من خلال إغراء السكان

بالحصول على مكاسب ليس ممكناً الحصول عليها بطرق أخرى. ولذا فكما حدث في ظواهر أخرى مشابهة تركز العمل على:

أ) عمل اقتصادي، تمثل في الحالة التي نحن بصددها في اقتطاع مضيق السويس، فقط قبل 8 سنوات من توحيد إيطاليا

ب) عمل دبلوماسي، كرد فعل وعمل دفاعي على أثر الصفعة التي تلقيناها في تونس (1881م) التي كان معناها إبعادنا من الألعاب الأوروبية في جنوب المتوسط، ولكن كان من شأنها تقوية موقفنا بالدخول في الحلف الثلاثي (1882م)،

ج) في عمل ثقافي، يتجه لخلق العقلية الاستعمارية ثم تقويتها خلال الحقبة الفاشية، لدى من تجذرت لديهم هذه العقلية، من خلال أسطورة القدرة على الاستعمار، بل حتمية فعل ذلك، استجابة لنداء أخلاقي، ولدى المستعمَرين، انطلاقاً من القناعة بفكرة وجود شعوب أقل مستوى حضارياً، ومن ثم فهي قابلة لأن تستعمَر، للوصول من بعد إلى تدميرها. وهكذا انتهى الخيال الجمعي الذي مهد للاستعمار، بتأثير الصحافة والأدب، إلى خلق العقلية الاستعمارية، منطلقة من عقلية قومية، تحولت فيما بعد إلى عقلية فاشية، ومع النهاية العنيفة للمغامرة الاستعمارية، بعد سلسلة الهزائم التي تكبدتها إيطاليا في الميدان، خلال الحرب العالمية الثانية، لم تعد تلك الأفكار تخضع للنقاش والتحليل، إلا في دوائر ضيقة وتخصصية، ولا تخضع أصلاً، إلا بإرادة عدد من الأساتذة، خلال السنوات الحاسمة للتكوين العلمي، ما جعل المواطنين غير مجهزين لمواجهة علاقتهم بأبعادها المختلفة، التي ظلت قابلة لأن توظف لأهداف سياسية واقتصادية.

وكثيراً ما كان يتبين في إيطاليا أن العلاقة مع الآخر، وخاصة مع الأفارقة، هي علاقة تمييز واضطهاد وعنف، تحت شعار الاستغلال، وذلك لأنه لم يكن قد تم بعد

استيعاب العلاقة القديمة مع أفريقيا في الضمير الجمعي، وقد كانت تستبعد ويتم تجاهلها باسم الأسطورة التي تزعم وجود استعمار ذي وجه إنساني، ولكنها أخذت تظهر خلال الأزمات لتقلب رأساً على عقب صورة مجتمع ذي مبادئ واحدة مشتركة، في مواجهة سياسة تصطاد في ماض غير مطهر، وإنما متجذر في أعماق اضطرابات وأساطير مزيفة، هي بالفعل متجذرة في الضمير الجمعي، ومن شأنها فتح المجال أمام تلك الظاهرة، التي تحدث عنها المؤرخ سنتاريللي وسماها "ثبات العاطفة الاستعمارية".

وفي بعض المناسبات التي تمت في لمبارديا، لمحاولة إعادة النظر في المرحلة الاستعمارية، باعتبارها ظاهرة تجانس قومي، تم عرض هذا المعرض الذي نقدمه هنا، انطلاقاً من العرض في كلية العلوم السياسية في جامعة ميلانو (لا ستاتالي) الذي أشرف عليه المركز القومي لتاريخ حركة التحرر في إيطاليا، بإدارة فيروتشو باري، ومركز INSMLI في ميلانو، بتاريخ 12 أبريل 2011م، بمناسبة المؤتمر السنوي للكليات والجامعات (SIII 2011)، المقام في المناسبة 150 لاستذكار ولتوثيق الذاكرة التاريخية كعمل وطني مشترك. وهنا أضفى البحث الحافل بالمعاني الذي قدمه فيتو أيلارا، أحد أهم المهتمين بهذا النموذج غير الاعتيادي لإنعاش الذاكرة والروح الوطنية للتراث التاريخي، من خلال الكشف عن الخفايا والأبعاد غير المعروفة للعدوان على الولايات العثمانية، عن طريق الصور الفوتوغرافية، والتعبيرات بالغة الدلالة للتصرفات وتعبيرات الوجوه، التي تسهم في تفسير التغيرات المتبادلة في العلاقات بين الليبيين والأوستيكيين، خلال مدة عشرين سنة من النفي الممنهج للسكان من طرابلس وبرقة، ما أضفى على القصة المعقدة ذلك البعد الإنساني، والوجه المزدوج المتبادل مع المستعمرين الذي ساهمت سنوات من التجاهل في نفيه. وقد مثلت المنشورات والمعارض جسوراً غنية بين التجربة التاريخية والاجتماعية والبحثية مع حاضر علاقاتنا مع ذلك الجزء من

جنوب المتوسط، التي لم تكن في ذلك الوقت قابلة للتفسير، بين تحفظ الحكومات وصمتها حول حقيقة أوضاع الليبيين خلال الحرب، في تناقض تام للقوى الغربية في الميدان، من خلال السلاح المتطور الذي وضع في ميدان التجربة في سماء ليبيا، والانخراط الكامل من قبل الإيطاليين، الذين كانوا يصورون ما يقومون به، من خلال الإعلام وكأنه عمل بدوافع إنسانية، أي مغامرة استعمارية جديدة، تتم بين أمم تتنافس في الميدان.

وكان ثمة وجه آخر من وجوه التلميع للعملية العسكرية يظهر أيضاً في الأخبار التي كانت ترافق العملية الإيطالية في ليبيا سنة 1911م، ولم تكن تتفق مع التوجهات الاشتراكية السائدة آنذاك. لقد تم تصوير هذه العملية وكأنها "قدر تاريخي"، كما عبر عن ذلك الليبرالي جوفاني جوليتي (رئيس الحكومة بين 1903 و1914م)، الذي أظهر، وإن كان ذلك من خلال تخبط واضطراب، من خلال الإصلاحات الاجتماعية، توافقاً مع تلك الطبقة السياسية. وهكذا كانت الحرب الإيطالية التركية مخرجاً حددته المصالح الاستراتيجية لوضع حد للهيمنة الاستعمارية لإنجلترا وفرنسا في المتوسط، والحاجة إلى تحويل الجزء الأكبر من المهاجرين (وهذه أصوات مفقودة) إلى أرض واقعة تحت سلطة إيطالية (وهذه أصوات مكتسبة). وقد تأكد حضور البعثات الكاثوليكية، التي كانت نشطة في سنوات الثلاثينيات من القرن التاسع عشر في الولايات العثمانية، والاختراق السلمي لمنطقة طرابلس، الذي كان قد تركز منذ سنة 1900م في وجود أسواق تديرها الشركة العامة للتصدير في ميلانو، ومصارف؛ فمنذ 1907م كان بنك روما يعمل هناك لدعم الشركات البحرية التي تمولها الدولة، في حين أن المصرف التجاري كان حاضراً عن طريق شركة الشرق التجارية، حتى بلغوا بين 1905 و1910م حد مضاعفة حجم

التجارة بين الإمبراطورية العثمانية وإيطاليا، ومن ثم تقوية (الحقوق المكتسبة) لبلادنا، في أراض كانت تمثل مشتركات في التاريخ والبحر.

في هذه الأثناء بلغ النزيف البشري الذي كانت تعيشه إيطاليا في ذلك الوقت حداً من الخطورة، إذ كان عدد من تركوا إيطاليا بين سنة 1878م وسنة 1965م دون أن يعودوا إليها حوالي 26 مليوناً من الإيطاليين، يمكن أن نميز منهم طائفة أولى بين 1876م و1900م، حوالي 5 ملايين من سكان إيطاليا البالغ عددهم في ذلك الحين 27 مليونا اتجهوا إلى فرنسا وسويسرا، بل أيضاً إلى الولايات المتحدة والأرجنتين والبرازيل. أما المرحلة الثانية خلال رئاسة جوليتي بين 1900م و1914م فقد شهدت موجة بلغت 9 ملايين فرد، خاصة من المناطق الجنوبية، اتجهت نحو الولايات المتحدة. أما المرحلة الثالثة، فقد شهدت، بسبب الحروب العالمية، تباطؤاً في الهجرة، بعد موجة قوية تلت مرحلة ما بعد الحرب، حتى توقفت نهائياً في الستينيات.

وهكذا فبينما كانت تتضح مؤشرات أزمة داخلية في الباب العالي، متزامنة مع ضغوط متزايدة للاستقلال عن دول البلقان والشرق الأوسط، أخذت تهدد السيطرة على الإمبراطورية، في مقابل الاعترافات المتبادلة في سنة 1909م، كانت إيطاليا تلعب بالورقة المتاحة لها وهي التي ترضي طموحها في السيطرة على طرابلس وبرقة وفزان.

ومن خلال دعم الصحافة الموالية لليمين الوسط، أخذت الدعاية السياسية تنمي الأساطير: مثل الادعاء بوجود ثروات اقتصادية ضخمة، في المنطقة التي كان سالفيميني يصفها بأنها مجرد علبة من الرمال، ولم يكن أحد يظن آنذاك أنها غنية بالنفط، بهدف تطوير دعم طبقات المقاولين لفكرة تكوين مجتمع من الفلاحين الواقعين تحت ضغط الإقطاعيات، بحثاً عن أراض لزراعتها، تقوية لمشاعر التفوق العرقي في

أوساط الطبقات الاجتماعية الإيطالية، أو كما تقول أسطورة تحرير العرب، حيث تهدف عملية استعمارية في الحقيقة إلى إنهاء الحكام المحليين (لقد كانت الولايات العثمانية يحكمها أمراء من الحركة السنوسية)، وكانت شبه مستقلة عن الإمبراطورية التركية. بهذا الشكل كانت أقلام صحافيين أمثال بياتسا وبيفيوني وكورادیني، تستمد من البلاغة والكذب لتوجه بهذا الشكل الرأي العام نحو تقبل فكرة الذهاب إلى حرب سهلة، مقبولة ومرحب بها من قبل السكان الليبيين، من أجل تحريرهم من الهيمنة العثمانية. وهكذا، بعد أن أصم السكان الإيطاليون آذانهم تجاه الصحافة الاشتراكية المضادة للتدخل، وفي مواجهة إضراب أعلنته نقابة العمال في بولونيا في 27 سبتمبر، لم يحضره أحد تقريباً، كانوا مستعدين لترك أنفسهم نهب التأثير، والالتفاف التام لدعم ذلك الإنذار الموجه للباب العالي، ولم يكونوا يظنون أنهم سيتعرضون لخيبة أمل كبيرة، وهم يواجهون، بعد قصف مدفعي ناجح من سفن الأسطول، هزيمة قاسية في مواجهة الرعاة الليبيين في شارع الشط والهاني وبوملیانة. وسوف نتطرق في الصفحات التي تلي هذه المقدمة للعواقب الوخيمة لردة الفعل التي أثبت الإيطاليون أنهم قادرون عليها، حيث قاموا بعمليات حربية غير منتظرة، وشملت إعدامات علنية، وأعمال نفي جماعية، بهدف ممارسة سياسة الأرض المحروقة حول المقاومة، بحرمانها من المؤن والدعم اللوجستي.

وكما سبقت الإشارة كانت الممارسات العسكرية الجديدة التي استحدثتها إيطاليا في الحرب، بمثابة التجربة لما سوف يتم في الحرب العالمية الأولى، وأصبحت مصدراً للفخر وترويج الدعاية، التي كانت لازمة للحفاظ على مستوى دعم الرأي العام الإيطالي. فللمرة الأولى شهد العالم استخدام الطيران في الحرب، كوسيلة استطلاع وهجوم: ففي 23 أكتوبر 1911م، قام النقيب كارلو ماريا بياتسا بالطيران فوق الخطوط التركية في جولة استطلاعية، وفي 1 نوفمبر يرمي الطيار جوليو جافوتي، عن طريق اليد، أول

قنبلة جوية على القوات التركية الموجودة في ليبيا. وقد كان من الأمور الجديدة تماماً استخدام وسائل اتصال حديثة: بالتعاون مع جولييلمو ماركوني، فقد أسس سلاح ذلك العبقري لأول خدمة نظامية للاتصال التلغرافي في الميدان العسكري على نطاق واسع. كذلك سوف يسجل لأول مرة استخدام العربات في الحرب، من خلال استخدام سيارات فيات، طراز 2، سواء لنقل العسكريين أو كسيارات إسعاف.

وقد قدرت الخسائر البشرية للعمليات العسكرية، خلال أكثر قليلاً من سنة واحدة، بما يقرب من 3500 قتيل، بين عسكريين إيطاليين ومجندين إريتريين، إما قتلوا في المعارك، أو ماتوا بسبب أمراض أصيبوا بها خلال الحرب، ولا يمكن إحصاء ما يتصل منها بالضحايا من الليبيين، إلا إذا اتصل الأمر بمعارك معينة. ومع ذلك فربما كان يكفي لبيان عدم الدقة والصحة في نتائج هذه الحرب، الإحصائية التي وضعت لضحايا معركة جنزور بتاريخ 8 يونيو 1912م، التي خسر فيها الإيطاليون 43 جندياً وضابطاً واحداً، إضافة إلى 278 من الجرحى، بينهم 13 ضابطاً، يخمن أنه إضافة إلى 1130 ليبي أمكن عدهم في الميدان، تشير الإحصاءات التي تمت في الساعات الأولى إلى مقتل 2000 جندي. وعموما فإلى جانب الخسائر البشرية الكبيرة، فقد قدرت التكاليف المالية للحملة بحوالي 1 مليار ليرة (بعملة ذلك الوقت)، وطرد أكثر من 70.000 إيطالي، بين مقاولين ومهاجرين. وهو ما وصفه رينوفين رافيزا بأنه أول حدث، يمكن وصفه بأنه مستقل، تقوم به إيطاليا الموحدة، من خلال المكانة الدبلوماسية الصاعدة، وما سوف يكون من شأنه أن يكون مصدر فخر ومكانة دبلوماسية، تشعل مشاعر الشعب الإيطالي.

في سنة 1912م، مع نهاية المراحل الثلاث للحرب، بين المرحلة الأولى ابتداء من الاحتلال في أكتوبر 1911م، والمرحلة الثانية التي تم فيها إنشاء القواعد العسكرية،

التي استمرت حتى مارس 1912م، ثم المرحلة الثالثة التي وقعت فيها أعنف المعارك، وانتهت بتوقيع السلام في لوزان في يوليو 1912م: لم تعد ليبيا محمية عسكرية، بل أصبحت مستعمرة إيطالية. ومن ثم سوف تتطور معاهدة لوزان من خلال عملية تفاوض معقدة، بدءاً من مفاوضات لوزان في يوليو 1912م، لتتواصل في أغسطس في كوكس وفي سبتمبر في أوشي، حتى اكتمالها في لوزان في أكتوبر. سوف توقع اتفاقيات حول الحدود مع فرنسا بين 1912 و1914م، وأخر استراتيجية مع اسبانيا، سنة 1913م، وهي التي سوف تكون المناسبة لإبلاغ وزارة المستعمرات، التي أنشئت في يوليو سنة 1912م، ولم تفعل إلا في 20 نوفمبر، عند توقيع السلام. وعموماً فإن تركيا كمال أتاتورك لم تستسلم حقاً إلا في مفاوضات 1923م، باعترافها رسمياً بالسيادة الإيطالية على الأراضي التي فقدتها خلال الحرب.

العبور إلى المرحلة الفاشية سيتمثل في جملة من العمليات القمعية من أجل إحلال السلام في برقة وإتمام احتلال فزان، بهدف فرض استعمار زراعي كامل. وكان مما يدعم هذا التوجه النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي وضعته الزوايا السنوسية، التي سوف تقود المقاومة، مستفيدة من الفترات التي شهدت تراجعاً في اهتمامات القوات الإيطالية، التي سرعان ما جذبتها التزاماتها في الحرب العالمية الأولى. وتفصح السجلات التي تضمنت شهادات المنفيين، المعروضة في المعرض، عن حجم وأشكال مظاهر العنف، التي توجت في المرحلة الفاشية بطريقة درامية بإعدام عمر المختار (1931م)، في حملة القمع المنظمة التي قام بها غراتسياني، الذي كان آنذاك حاكما لبرقة: جزء من ذلك البرنامج يتضمنه المجلد الأول من المرفق الأفريقي، الذي أعده المعهد الفاشستي لأفريقيا الإيطالية (IFAI)، ولخصه موسوليني بمهارة بقوله: "بجعل المتوسط بحيرتنا، بتحالفنا مع أولئك الذي يعيشون في المتوسط، وطرد أولئك الذي

يعدون في المتوسط متطفلين، وإنجاز ذلك العمل الشاق والصبور والهائل، سوف نؤسس بالفعل لمرحلة عظمى في تاريخ إيطاليا. موسوليني".

هذا البرنامج الذي سوف يعرف ويدمج، وسوف تذكر طموحاته، كلما قضت المصالح الاقتصادية بتغطية التدخلات الإنسانية، وتصدير النماذج السياسية في كل ركن من أركان العالم.

أختتم هذه الصفحات القليلة بالإلحاح على التوصية بالقيام بزيارة المعرض، كطقس ضروري، لتكريم ذكرى تلك المعاناة، ولكن أيضاً للاحتفال بلحظات اللقاء والتلاحم الذي يمثل ويحول، وللجمع بين التجربة الإنسانية الهائلة، المكونة من ذلك التجوال في ذاكرة انتهت إلى حالة من الصمت، تلك الوسيلة التالية للمعرفة والدافعية للتأمل حول المسؤوليات عن الماضي وما حدث فيه، بأمل أن تنتشر، وخاصة لدى الأجيال الشابة، لحفزها على التدبر الواعي لمسؤولية منتبهة نحو الحاضر، الذي لن يستسلم أبداً لحتمية التاريخ، مصمماً على النظر إليها مباشرة في وجهها.

كريستيانا فيامنجو

كريستيانا فيامنجو أستاذة التاريخ والنظم في أفريقيا، في كلية العلوم السياسية في جامعة ميلانو، قسم الدراسات الدولية ورئيس اللجنة الليبية الإيطالية (معاً للغد).

أوستيكا في بداية القرن العشرين

800 هكتار من الأراضي، ثلاث هضاب خضراء في كل نواحيها. يحيط بها البحر، بشريط أزرق من كل جهاتها، ينتهي عندما تبدأ السماء الزرقاء هي أيضاً.. بليدة تتكون من بضع بيوت تطل على بحيرة صغيرة، تحييها حركة بضعة قوارب ذات مجاذيف. بيوت من صخور بركانية، بعضها مزوق بالأبيض، نوافذها ذات مظهر محبب، وبيوتها ذات أقفال وبوابات.

الطرق: درجات مبلطة بالحصى المستخرج من الميناء، حيث تلقي السفينة مراسيها كل أسبوع، ومنها يتم التوجه نحو المركز السكني، للوصول إلى البيوت التي توجد على ارتفاع 60 مترا. ومن خلال صعدة أخرى يتم الوصول إلى الهضبة التي يهيمن عليها البرج الباربوني، الذي كان في زمن ما قلعة ضد هجمات القراصنة، ثم استخدمت كمعتقل. وأخيراً في صعود سريع إلى الضاحية المكونة من بيوت قديمة تعود إلى القرون الوسطى، ثم تمضي في انعطافة سلسة نحو سهل (ترامونتانا) الغني. كل هذا قبل مغادرة القرية بقليل حيث تظهر لافتات تحذر من نهاية حدود القرية التي لا يسمح للمنفيين بتجاوزها.

هذه القرية التي وصفها الكاتب في صحيفة (أفانتي Avanti) جوزيبي سكالاريني بأنها (سجن في الهواء الطلق)، وكان إذاك، أي في الفترة 1927–1928م، معادياً للفاشية، تمتد بانسيابية بين هضبة فالكونييرا ومنطقة كولونيدا.

الجزيرة التي كانت مهجورة منذ عدة قرون، احتلها البوربون في 1763م، بهدف مواجهة القراصنة الذين كانوا قد اتخذوا منها ملاذاً لهم، لعرقلة التجارة البحرية. وقد أقيمت تحصينات للدفاع عن جماعة الفلاحين، التي استقرت في المكان بهدف تطوير

اكتفاء اقتصادي ذاتي. ولهذا الهدف تم أيضاً إحضار واحد وعشرين فلاحاً بطريق السخرة، ثم انتهى بهم الأمر إلى الاستقرار في الجزيرة. وعلى مدى قرنين من الزمان ظلت الجزيرة أرضاً حدودية، وأصبح الفلاحون عماد الاقتصاد في الجزيرة. ومع الوقت أضيف إلى المبعدين المحليين السياسيين، وهم معارضو البوربون: مواطنو النهضة، فوضويو نهاية القرن التاسع عشر، معارضو الحرب الاستعمارية، أفراد المقاومة الليبية، معارضو النظام الفاشي، الذين كان من بينهم أنتونيو قرامشي وأماديو بورديجا، وكارلو ونيللو روسيللي، وجوزيبي سكالاريني، وفيروتشو باري، وجوزيبي روميتا وجوزيبي ماسارينتي، وريكاردو باور.

في 1961م، عندما تم إلغاء المنفى، ترك آخر المنفيين مكانه للسائحين.

تاريخ النزاع بين إيطاليا وليبيا

1- 1911م حرب ليبيا. بعد حرب قصيرة مع تركيا، التي كانت لها السيادة على ليبيا. سيطرة إيطاليا على برقة وطرابلس. هزيمة تركيا أمام إيطاليا فاقمت أزمة الإمبراطورية العثمانية. ودمرت التوازنات الهشة في منطقة البلقان التي اندلعت فيها الحرب العالمية الأولى.

2- 1912م: معاهدة السلام في لوزانا؛ الاعتراف بالسيادة الإيطالية على ليبيا.

3- 1943م: احتلال الحلفاء لليبيا.

4- 1951م: تأسيس المملكة الليبية المتحدة.

5- 1956م: المعاهدة التي تقضي بأن تدفع إيطاليا لليبيا تعويضات عن الأضرار التي نجمت عن الاحتلال. يتم دفع المساهمات المستلمة من إيطاليين وليبيين إلى الحكومة الليبية في طرابلس، مع الالتزام باحترامها.

6- 1969م: (1 سبتمبر). في انقلاب عسكري يعزل معمر القذافي الملك إدريس، ويستولي على الحكم.

7- 1970: الجمهورية العربية الليبية. القذافي يعيد فتح الخلاف مع إيطاليا حول الماضي الاستعماري. يصادر ممتلكات الشركات والأفراد الإيطاليين. ويعيد من جديد الحديث عن تعويضات عن الأضرار الناجمة عن الاحتلال والحرب، ويطرد الإيطاليين. ويجعل ذلك اليوم عيداً وطنياً، ويسميه (يوم الانتقام).

8- 1978م: (حكومة أندريوتي): زيارة رئيس الحكومة الإيطالية لطرابلس، وإذابة الجليد عن العلاقات الثنائية.

9- 1986م: الأزمة الدبلوماسية العسكرية. هجوم صاروخي ليبي على لامبيدوزا.

10- 1998م (4 يوليو: حكومة برودي): بيان مشترك بين ديني والمنتصر في روما. توقع الكشف عن ملفات الخزانة العامة (لكن الوثيقة لم ترسل أبداً

لاعتمادها من البرلمان. الإعلان عن التزام الحكومة الإيطالية بالمشاركة في البحث عن أقارب الليبيين المنفيين إلى إيطاليا، المساعدة في جهود الكشف عن الألغام، تعويض الليبيين المتضررين. إنجاز مشاريع اقتصادية برعاية شركات مشتركة.

11- 1999م (1-2 ديسمبر: حكومة داليما): بزيارة رئيس الحكومة داليما إلى ليبيا نشاهد تطورين مهمين في العلاقات الليبية الإيطالية: إطلاق عملية إنهاء الخصومة بين البلدين وانضمام القذافي إلى الصراع ضد الإرهاب الدولي.

12- 1999م (5 أغسطس حكومة داليما): وزير الخارجية الإيطالي ديني وعن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية أمين اللجنة الشعبية العامة للاتصال الخارجي والتعاون الدولية عمر مصطفى المنتصر، يوقعان في سرت محضر الاتفاق الذي ينص على "التعاون في مجال البحث التاريخي، ونشر ثقافة التضامن، وكذلك مسألة المواطنين الليبيين المبعدين تعسفاً من بلادهم خلال الفترة الاستعمارية".

13- 2004م خلال زيارة قام بها إلى ليبيا رئيس الحكومة الإيطالية آنذاك سيلفيو بيرلوسكوني، أعلن القذافي أنه ابتداء من هذا التاريخ لن يحتفل بيوم 7 أكتوبر كعيد ليوم الانتقام، ولكنه سيصبح يوما للصداقة بين البلدين.

14- 2004م (نوفمبر: حكومة بيرلوسكوني): لأول مرة تمنح ليبيا تأشيرة دخول للإيطاليين الذين تم طردهم سنة 1970.

15- 2006م (23 نوفمبر: حكومة برودي) وزير الخارجية داليما يلتقي في طرابلس بالقذافي لوضع أسس إطلاق المفاوضات حول قضية الخصومة القائمة.

16- 2007م (أبريل: حكومة برودي): لقاء جديد في ليبيا بين وزير الخارجية داليما والقذافي لمواصلة المفاوضات.

17- 2007م (26 أكتوبر: حكومة برودي): مؤتمر حول المنفيين الليبيين إلى إيطاليا واستئناف المفاوضات حول المسألة الليبية. التعويض الاقتصادي عن مرحلة الاحتلال الإيطالي، والكشف عن حقول الألغام والمنفيين الليبيين إلى إيطاليا.

18- 2007م (نوفمبر حكومة برودي): وزير الخارجية ماسيمو داليما يلتقي بالقذافي في طرابلس، لتوقيع تفاهم واتفاق مبادئ حول القضايا المشتركة لإغلاق الصفحة المؤلمة من الماضي الاستعماري في ليبيا.

19- 2008م (30 أغسطس حكومة بيرلوسكوني): معاهدة صداقة وشراكة وتعاون بين إيطاليا وليبيا (وقعت في قصر المنار في بنغازي)، تتضمن قبول مطالبات الليبيين في مسألة التعويض عن المرحلة الاستعمارية. وقد فتحت هذه المعاهدة الباب لمناقشات حول مدى اتفاقها مع مساهمة إيطاليا في حلف الأطلسي، واحترام حقوق الإنسان.

20- 2009م (10 يونيو: حكومة بيرلوسكوني): أول زيارة رسمية للقذافي إلى إيطاليا.

21- 2009م (حكومة بيرلوسكوني): زيارة أخرى لبيرلوسكوني إلى طرابلس بمناسبة الذكرى الأولى لتوقيع معاهدة الصداقة بين إيطاليا وليبيا. إيطاليا ستدفع إلى ليبيا 5 مليار دولار.

22- 2009م (16 نوفمبر: حكومة بيرلوسكوني): القذافي يعود إلى إيطاليا للاحتفال بالذكرى الثانية للتوقيع على معاهدة الصداقة بين إيطاليا وليبيا.

23- 2010م (29 أغسطس: حكومة بيرلوسكوني): إقامة جديدة للقذافي في إيطاليا للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية للتوقيع على معاهدة الصداقة بين إيطاليا وليبيا.

24- 2011م (فبراير - مارس: حكومة بيرلوسكوني): الحرب الأهلية في ليبيا. إيطاليا تساهم في العملية العسكرية: أوديسا داون / الراعي الموحد، بوضعها تحت تصرف القوات الخاضعة للأمم المتحدة قواعد عسكرية وطائرات لفرض احترام منطقة حظر الطيران. إغلاق السفارة الإيطالية في طرابلس.

25- 2011م: الثورة في ليبيا ضد نظام القذافي، توقف معاهدة الصداقة بين إيطاليا وليبيا الموقعة سنة 2008. سقوط نظام القذافي (29 سبتمبر). ذكرى مرور 100 عام على احتلال إيطاليا ليبيا.

26- 2011م (روما 15 ديسمبر: حكومة مونتي): تجديد معاهدة الصداقة. منح الإذن من قبل الحكومة الإيطالية لفك التجميد على 600 مليون يورو، والتزام إيطاليا باستئناف منح الحكومة الليبية 5 مليار دولار خلال 20 سنة.

مخطط المعرض

يتكون المعرض من تقديم يتضمن عرضاً مختصراً حول بنيته، و48 لوحة مزودة بصور ووثائق، ومقالات نشرت في الصحف، بطاقات بريدية، إهداءات وكتابات تصف الأحداث، وتصف ملابسات الصور. هذا القسم مقسم إلى ثلاثة أجزاء، يتبعها سرد تاريخي، مصنف حسب التاريخ والموضوعات، وذلك لتسهيل تصفح المادة. كل قسم يحتوي مقدمة تلخص محتواه بإشارات إلى السياق التاريخي الاقتصادي المحلي، الذي يقع فيه نفي الليبيين إلى أوستيكا، وكذلك النفي العام الذي يستمد منه المعرض أصوله.

ويتمثل المعرض في:

تقديم: المنفيون الليبيون إلى أوستيكا من 1911م حتى 1934م.

النفي الأول: سنة 1911م

النفي الثاني: سنة 1915م

النفي الفاشستي.

خط سير المعرض

أوستيكا: افتتاح المعرض في قاعة المؤتمرات التابعة للساحة البحرية المحمية. أربعة مؤتمرات حول موضوع (المنفيون الليبيون خلال المرحلة الاستعمارية) ينظمها (المعهد الأفريقي لأفريقيا والشرق (ISIAO) والمركز الليبي للدراسات التاريخية – أكتوبر 2004م.

أوستيكا: زنانين الخندق. أبريل – يوليو 2005م.

جزائر تريميتي: قاعة المعارض. مسار تنظمه بلدية أوستيكا، وبلدية تريميتي والسفارة الليبية في إيطاليا. يونيو 2010م.

أوستيكا: القصر البلدي القديم. مسار تنظمه بلدية أوستيكا، ومديرية تريميتي والسفارة الليبية في إيطاليا . يوليو 2010م.

ميلانو: جامعة ميلانو. مدرج الرئاسة، حلقة دراسية مشتركة بين عدد من الكليات والجامعات حول الممتلكات العامة. تنظمها كلية العلوم السياسية. مايو 2011م.

سستو سان جوفاني: فيللا فيسكونتي داراجونا. طاولة مستديرة (من الماضي إلى الحاضر): النفي القديم والهجرة الإجبارية الحديثة، تنظمها المكتبة المدنية، مايو 2011م.

بيزانا بريانسا: المركز الرياضي في مونتي سيرو، العيد الإقليمي لمونزا وبريانسا A.N.P.I يونيو 2011م.

ميلانو: قاعة المدرسة المدنية المتوسطة أليساندرو مانزوني. الاستعمار: دورة إعداد. اللجنة الإيطالية الليبية (معا للغد). نوفمبر – ديسمبر 2011م.

لاسبيسيا: رابطة الموانئ. أرشيف متعدد الوسائط: سيرجيو فريجوزو. المركز الثقافي الشبابي: ديالما روجيرو، طاولة مستديرة برعاية الخدمات الثقافية لبلدية لاسبيسيا وسلطة الموانئ في لاسبيسيا، والمؤسسة الثقافية في البحر المتوسط، واللجنة الإيطالية الليبية (معا للغد) يناير– فبراير 2012م.

صفحة من الماضي المنسي
يجب أن تعاد إلى الذاكرة الجماعية

نشأت فكرة المعرض من الحاجة لأن تعرض، بطريقة بسيطة ومنظمة، الوثائق التي جمعها حتى الآن مركز الدراسات والتوثيق لجزيرة أوستيكا حول مسألة المنفيين الليبيين إلى أوستيكا. وهو حضور ميز بقوة، على مدى أكثر من عشرين عاماً في أوستيكا (1911–1934م) الحقائق المكانية والاجتماعية–الاقتصادية في الجزيرة، وإدماجها في علاقة مباشرة ومستمرة مع الشعب الليبي.

وقد كان من أهم الدوافع التي دفعت مركز الدراسات لهذا الاهتمام وجود قسم عربي في المقبرة المحلية، (مقبرة العرب)، وسجل الرحلات المنظمة إلى أوستيكا التي تقوم بها بعثات ليبية، تصل كل عام بمناسبة حملة النفي الأولى في 1911م. وقد أدت المعرفة المتقدمة لتلك الصفحة من التاريخ إلى خلق الشعور بالواجب الأخلاقي لإلقاء مزيد من الضوء حول أولئك الليبيين الذين تم إبعادهم قسراً إلى الجزيرة، والذين لا نملك حولهم إلا معلومات مختصرة وسطحية.

إننا نريد أن نحتفظ بذكراهم حية، يفرض علينا ذلك احترام الذكرى، وإثبات أنه لا يمكن أن توجد علاقات متينة بين الشعوب التي تضاربت مصالحها في الماضي إلا بإغلاق تلك الصفحات والتعامل المباشر والقبول بالحقائق ولو كانت غير مريحة.

في ظل هذه الرؤية الشاملة حددنا لأنفسنا أن نساهم نحن أيضاً في هذه المحاولة، التي تجيء في الوقت الحاضر، لإعادة البناء التاريخي لقصة الليبيين المنفيين إلى إيطاليا خلال الحقبة الاستعمارية، ولا سيما أولئك المنفيين إلى جزيرتنا، عبر الصور والوثائق والشروح عليها.

لقد خضع تاريخ الحروب الاستعمارية التي خاضتها بلادنا، على مدى سنوات عدة، لصمت طويل، ولم يتم استعادته كاملاً في أبعاده التاريخية الحقيقية. وقد مثلت البحوث التي قام بها، في سنوات السبعينيات، جورجو روشا وأنجيلو ديل بوكا، ثم نيكولا لابانكا، نقطة انفصام وتحول في اتجاه القيام بقراءة نقدية، لا مجرد قراءة وصفية، وبالقطع لا مجرد قراءة احتفالية لماضينا الاستعماري. وقد أصبحت أسطورة ماضي الإيطاليين الطيبين تهتز، متيحة المجال لبروز قصة مليئة بالجريمة والبشاعة. وعلى كل حال يبدو أنه ما زالت تنقصنا حتى الآن دراسة منهجية وموضوعية لإسقاطات الحروب الاستعمارية التي خاضتها بلادنا. كما ينقصنا أيضاً النشر المناسب للأعمال التي تمت في هذا الحقل بالذات، من قبل دارسين على مستوى رفيع من المهنية.

من هذا المنظور يهدف المعرض لعرض قصة (المهزومين)، وحياتهم في المستعمرات البعيدة، وعلاقاتهم بالسكان المحليين. وما نأمله هو أن يكون هذا المعرض بمثابة معالجة لسد ثغرات المعرفة التاريخية الجارية حالياً، والتي ما زالت جوانب كثيرة منها بحاجة إلى البحث والنشر، سواء على مستوى الرأي العام، أو فوق ذلك، على المستوى الأكاديمي، ولا سيما على مستوى الإشارات المرجعية، التي نقابلها في الكتب والمراجع حول التاريخ الاستعماري لبلادنا، وخاصة ما يتعلق بعمليات النفي، ونحسب في الحقيقة أن من الضروري إعادة تأصيل الذاكرة التاريخية كوسيلة مفيدة في مجال تكوين وتربية الأجيال الجديدة.

وقد كانت مؤلفات أنجيلو ديل بوكا ذات أهمية رئيسة في إعادة تكوين حكايتنا الخاصة في إطار التاريخ العام.

Sbarcati ieri nell'isola 170 cittadini libici per ricordare
la deportazione d'inizio secolo che costò la vita a 132 connazionali
DIANA
PALERMO
Saluti da Ustica
con gli occhi rossi

أوستيكا: وصول البعثة الليبية الكبيرة بقيادة محمد ابن عمر المختار

لقد وصلت أول بعثة من الليبيين إلى أوستيكا في 28 أكتوبر 1989م، ذكرى عملية النفي. كانوا 170 رجلاً، بينهم كثير من الشيوخ بقيادة (محمد) ابن عمر المختار (أسد الصحراء)، بطل المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي. لقد جاؤوا لإحياء ذكرى موتاهم، ولكن أيضاً للمطالبة باعتراف إيطاليا بالأضرار المادية والمعنوية التي تكبدتها بلادهم جراء المدة الطويلة للاحتلال الإيطالي.

لقد تركزت أعمال البحث التي نقوم بها على الوثائق المحفوظة في الجهات العامة ولدى الأفراد، وكذلك على الذكريات التي يحتفظ بها كبار السن من أهل الجزيرة، ما أدى إلى دعم معرفتنا بتلك القصة، التي تمثل من حيث اتصالها الوثيق بأحداث التاريخ المحلي والوطني، ومع التطورات السياسية الدولية، بما في ذلك أحداث الحاضر، على نحو تجاوز بكثير كل الحدود الجغرافية والزمنية.[24]

أضيفت إلى هذه العوامل دوافع أخرى من خلال مشاركة مركز الدراسات في المؤتمرات التي أقامها، حول المنفيين الليبيين خلال المرحلة الاستعمارية، بين 2000م و2004م، المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق (IsIAO) والمركز الليبي للدراسات التاريخية في الأماكن التي استخدمت لنفي الليبيين: أوستيكا، جزائر تريميتي، فاڤينيانا، بونزا، وقاييتا. إضافة إلى مقابلات أتيحت خلالها فرص لتقديم مساهماتنا لإعادة بناء قصة الحوادث من أجل الحصول على عناصر جديدة مفيدة لإعادة بناء قصة أولئك الليبيين وعلاقاتهم مع السكان المحليين إضافة إلى المبعدين الإيطاليين، وهذا مسار آخر جديد للبحث، تم التوصل من خلاله إلى نتائج بالغة الأهمية.

وقد كان اختيار أوستيكا مقراً للمؤتمر الختامي للمرحلة الأولى المخطط لها في الاتفاقية الإيطالية الليبية في 4 يوليو 1998م ذا معنى بالنسبة لنا، من حيث كونه اعترافاً بما أنجزناه، وإن كان متواضعاً. ومن المهم أيضاً خلال هذا المؤتمر تمكننا من إقامة علاقات تعاون مع طلاب من جامعات مختلفة، بتبادل المعارف حول جوانب

[24]- وتبين بعض الصور: وصول الليبيين إلى أوستيكا. وقد تم تذكر بعض جوانب قصتهم في البطاقات البريدية المطبوعة بالمناسبة من قبل المصور الأوستيكي جوزيبي براكو، ومنها استمدت بعض الصور المعروضة في المعرض. وفي تلك الآونة كانت البطاقة البريدية إحدى الوسائل لإيصال الحوادث الأكثر أهمية بالنسبة للمدينة. وفي هذه المناسبة كانت البطاقات البريدية مفيدة لتوثيق تطور الأحداث التي وجدت حولها آثار خلال وثائق الأرشيف. ص29.

مختلفة من البحث، من خلال تقديم المساعدة عن طريق نشر أعمالهم في مجلتنا (الرسالة). ونخص بالذكر باولو جراتسيوزي، إليونورا إنسالاكو، وفرانشيسكا دي باسكوالي.

لقد بدأت عمليات إبعاد المنفيين الليبيين في 29 أكتوبر 1911م بوصول مجموعتين إلى أوستيكا وتريميتي. وانتهت بالعفو الذي منحه غراتسياني بمناسبة (Gran Bayram) في سنة 1934. ومن بين آخر من مر بأوستيكا عمر باشا منصور (الكيخيا) الذي حصل هو واثنان آخران من أهم الأعيان على العفو، ولكن بشرط البقاء للإقامة في إيطاليا.

بدأت المرحلة الأولى للنفي إلى أوستيكا في 29 أكتوبر 1911م، وانتهت في 16 يونيو 1912م عندما رحل من الجزيرة آخر أربعة منفيين، بينما رحل الباقون من بقية المدن في شهر نوفمبر التالي. وقد تم تحرير المنفيين وعودتهم إلى بلادهم نتيجة الهدنة التي تم إعلانها بين إيطاليا وتركيا في أوشي (15 أكتوبر 1912م)، ثم في معاهدة الصلح في لوزان (18 أكتوبر 1912م) التي تعترف بسيادة إيطاليا على ليبيا. الليبيون الذين كانوا موضوعاً لهذه الحملة الأولى من النفي كانوا أولئك الذين "اعتقلوا لأسباب أمنية"، بدون أي تمييز، خلال حملة الإرهاب التي تلت ثورة شارع الشط ضد قوات الحملة الإيطالية. أما المرحلة الثانية فقد بدأت، فيما يتعلق بأوستيكا، بالنفي الجماعي الذي تم في يونيو 1915، وانتهى في 1936 بعودتهم إلى بلادهم. ولكن وصول المنفيين إلى بقية المدن الإيطالية لم يتوقف بين 1912 و1915م.

Diario dell'usticese Stefano Longo.

صورة لمذكرات المواطن الأوستيكي ستيفانو لونجو

Ustica 2004. Momenti della inaugurazione della mostra.

La mostra stimola il pubblico a cogliere il legame degli Usticesi col ricordo dei deportati.

Milano 2010. Esposizione della mostra alla Facoltà di Scienze Politiche dell'Università degli Studi di Milano.

Foto di Igor Pizzirusso, INSMLI

أوستيكا 2004م: مشهد من افتتاح المعرض لتحفيز الجمهور للتعرف على صلات الأوستيكيين بذكريات المنفيين.
ميلانو 2010م: المعرض في كلية العلوم السياسية في جامعة ميلانو.
صورة لإيجور بيتسيروسو.

لقد كان تواصل عمليات النفي، على الرغم من معاهدة السلام التي وقعت في 1912م، مرتبطاً بنشاط المقاومة التي يقوم بها العرب، بتأييد تركيا والإمبراطوريات الوسطى ترقباً للحرب العالمية، وبناء على منطق التحالفات الذي كان يرى إيطاليا باعتبارها حليفاً محتملاً لفرنسا وإنجلترا. في السنوات التالية تسارع ظهور الفاشية التي أضفت على السياسة الاستعمارية الإيطالية توجهاً حربياً، بتصعيد المواجهة مع المتمردين.

ومنذ 1915م أخذ يتوافد على الجزيرة رهائن وأسرى حرب، ومنفيين لأسباب سياسية إلى جانب أعيان ومعتقلين عاديين. وخلال هذه المرحلة الثانية كان حضور الأعيان في أوستيكا ثابتاً ومتميزاً بكثرة العدد. وهكذا يمكن ملاحظة أن من بين مكونات عمليات النفي في كلتا المرحلتين هناك تميز بين المنفيين، لا من حيث الحالة الحقوقية فقط، ولكن أيضاً من حيث الحالة الاجتماعية.

بداية التجربة الاستعمارية الإيطالية في أفريقيا
والحرب الإيطالية التركية

تمثل التجربة الاستعمارية الإيطالية في ليبيا المرحلة الثانية من التجربة الاستعمارية الإيطالية في أفريقيا، بعد تلك التي بدأت بشراء خليج عصب في البحر الأحمر (1869م)، وانتهت بهزيمة عدوة (1896م). وفي أعقاب الصراع مع إثيوبيا وتوقيع السلام في أديس أبابا (1896م) احتفظت إيطاليا بمستعمرتها في أريتريا.

الحرب الإيطالية التركية (1911–1912م) الشهيرة أكثر باسم (حرب ليبيا)، هي بالنسبة لإيطاليا الحرب الثانية في أفريقيا؛ كانت تستهدف الاستيلاء على بعض مناطق شمال أفريقيا: طرابلس وبرقة، وكانت من ممتلكات الإمبراطورية العثمانية. وبتوقيع اتفاقية لوزان تصبح ليبيا مستعمرة إيطالية، وتصبح جزيرة إيجا، التي احتلتها إيطاليا خلال الصراع، محمية مؤقتة، استمرت في الواقع كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

العوامل التي تعاضدت في قضية حرب ليبيا كانت عديدة وتدخل في إطار النزعة التوسعية الاستعمارية، الناشئة في تلك الفترة، والتي كان التوسع في الأراضي ملمحاً من ملامحها. من هذه العوامل: الدفاع عن المصالح الاقتصادية، وخاصة مصالح بنك روما، التي كانت تهددها الثورة في تركيا سنة 1908م بقيادة مجموعة (تركيا الفتاة)، وهي حركة دستورية قومية للإمبراطورية العثمانية، تسعى من أجل الحصول على مكانة وموقع في أوروبا من خلال الاحتلال، باستثمار الأسطورة القومية (أسطورة الشاطئ الرابع)، وفكرة امتلاك موقع تحت الشمس، الطابع المختلف في إطار الصراعات الاجتماعية الداخلية، التي كان الساسة يظنون أنهم يجدون لها حلولاً من خلال الهجرة نحو أراضي المستعمرة المستهدفة. وقد لقيت العمليات العسكرية في إطار احتلال

الأراضي والسيطرة عليها دعماً قوياً لدى الرأي العام، ولكنها أثارت أيضاً أصوات معارضة قوية. وعلى الرغم من معاهدة السلام مع تركيا سنة 1912م التي اعترفت بملكية إيطاليا لليبيا، فإن العمليات العسكرية بهدف الاحتلال والسيطرة الفعلية على الأراضي، التي ابتدأت في زمن الليبرالية، استمرت بقوة وعنف خلال العهد الفاشي.

خريطة ليبيا تبين المدن الواقعة على الساحل التي احتلها الإيطاليون سنة 1911م. في جنوب طرابلس وجنوب برقة وجنوب فزان، حيث أخذ احتلال المستعمرة، يتمدد منذ 1921م؛ ولكن السيطرة

الفعلية على هذه المناطق، التي كانت الإمبراطورية العثمانية قد اعترفت بسيطرة إيطاليا عليها سنة 1912م لم تتم إلا بالتدريج خلال العقدين التاليين، حتى انتهت سنة 1931م.

عملية النفي الأولى إلى أوستيكا

بدأت أوائل المنفيين الليبيين إلى أوستيكا تصل إلى الجزيرة سنة 1911م، في أعقاب الثورة العربية ضد قوات الاحتلال الإيطالي.

في 23 أكتوبر، بعد شهر من الإنزال، وبينما كان الأتراك يهاجمون المواقع الدفاعية الإيطالية، حول طرابلس، ثار السكان العرب بالقرب من شارع الشط. وكان ذلك يوحي بوقوع كارثة عسكرية للإيطاليين، ولكنها أجهضت، وإن مقابل العديد من الضحايا. وقد وقعت على أيدي العرب عمليات تعذيب وإرهاب ضد الأسرى الإيطاليين، الذين ردوا على ذلك بعمليات اعتقال جماعية، وإعدامات بالرصاص وبالشنق، وبعمليات نفي إلى الجزر الإيطالية: أوستيكا، تريميتي، فاڤينيانا، بونزا، وفي سجن قاييتا وغير ذلك من الأماكن. ويقال إن عدد الليبيين المنفيين بين 29 أكتوبر و3 نوفمبر 1911م بلغ 2975، ومع نهاية يناير بلغ العدد 3053. وقد أدت عملية شارع الشط إلى إنهاء الوهم بالتمكن من القيام باحتلال سهل، وقد بقي الإيطاليون محصورين أساساً في المدن الساحلية في منطقتي طرابلس وبرقة، بينما بقيت المناطق الداخلية تحت سيطرة المقاتلين العرب والأتراك.

وبعد ادعاءات النصر الأولى أخذت حرب ليبيا تتضاءل وبقيت على مدى عدة سنوات حرباً "منسية".

كان عدد الليبيين المبعدين إلى أوستيكا، في أعقاب الاعتقالات التي تمت إثر تمرد شارع الشط، 1920م، بعضهم ماتوا خلال نقلهم على القارب (رومانيا)، وتم رميهم في البحر قبل النزول إلى الشاطئ. وكثيرون آخرون ماتوا خلال الإبعاد بسبب ظروف الحياة السيئة في المنفى، ومن ثم بسبب تفشي الأوبئة بمختلف أنواعها. وقد بلغ عدد

الموتى الذين تم تسجيلهم في الملفات الرسمية في مدينة أوستيكا 127، ولكن عدد من دونت أسماؤهم في شواهد القبور في القسم العربي من مقبرة الجزيرة بلغ 132. ونعلم من رسالة أرسلها محافظ باليرمو إلى وزير الداخلية أن المدفونين بالفعل كانوا 132 شخصاً، وغالباً ما يكون السبب في هذا الفارق في عدد الموتى لخطأ في حسابات السجل المدني، وسوف يضاف إلى هؤلاء المائة واثنين وثلاثين الليبيون الذين ماتوا في السفينة، وكان عددهم، كما ذكر الصحفي باولو فاليرا في تقريره المنشور في صحيفة أفانتي في عددها الصادر في 20 يناير 1912م، خمسة موتى. وعموما إجمالي عدد الليبيين الذين ماتوا لا يمكن أن يكون أقل من 137. وحسب الشهادة الشفهية لأحد أبناء أوستيكا، وكان آنذاك في الحادية عشرة من عمره، يؤكدها تقرير المفوض كوتريرا بتاريخ 11 ديسمبر 1911م، يجب إضافة الجثث، التي عثر على عدد غير معروف منها في مخازن السفن بعد الإنزال، ورميت في البحر.

وكان مما زاد كثيراً في عدد الضحايا وباء الكوليرا الذي تفشى بين المنفيين. وقد مثل الوباء اختباراً صعباً للسلطات الصحية، التي كان عليها اعتماد وسائل استثنائية لا تتسق مع كون هؤلاء الأشخاص يعدون "أشخاصاً مبعدين لأسباب أمنية". فوفقاً لهذا الأسلوب مثلاً، كما كان يتبع مع المبعدين العاديين، كان ينبغي أن يسمح لليبيين بالخروج من زنزاناتهم خلال الساعات التي يسمح فيها للمساجين بالخروج من الزنازين، وإن كان ذلك في حدود معينة. ولكنهم فرض عليهم الحجز التام للحرية في نطاق المستعمرة.

وقد سبب وصول الليبيين لدى سكان الجزيرة قلقاً كبيراً، فقد كان من الضروري لإيجاد مكان لهم نقل تجمعات سكنية عديدة كانت تعد مهمة لاقتصاد الجزيرة، ناهيك عن أن كثيراً من هؤلاء السكان كانوا مستخدمين في خدمات عامة أساسية، ما أدى إلى

تعرض اقتصاد الجزيرة الضعيف أصلاً إلى هزة قوية، وبكل صراحة كان هناك من حصل من هذا على مزايا وفوائد، ولكن انتشار الوباء أدى إلى بروز العديد من المشاغل لدى السكان الأوستيكيين، بسبب التفكير في المخاطر الناجمة عن هذا المرض القاتل. وقد نجم عن الأضرار والمخاوف التي تسببها انعكاسات داخل المجلس البلدي، أدت إلى عدد من الاستقالات في بعض الحالات.

وإلى جانب الحكايات ذات الطابع التأملي حول المنفيين، هناك أيضاً حكايات عن مظاهر التعاضد، مثل تطوع السكان المحليين لمنح المنفيين البطاطين والملابس، كما ورد ذلك في حديث أنجيلا ألاريا ناتالي، وما تحدث عنه المندوب كوتريرا من الالتزام بتخفيف معاناتهم.

وقد انتهت قصة هذه المرحلة الأولى من النفي الجماعي في مايو 1912م، عندما غادرت آخر مجموعة من الليبيين الجزيرة من أجل إعادتهم إلى وطنهم. وقد كتبت صحيفة (جريدة صقلية) بتاريخ 29 مايو 1912م: "وعلى الرغم من أن هؤلاء الضيوف قد أثاروا عند وصولهم عدداً من الظواهر بسبب ما تفشى بينهم من أمراض وبائية، فإن الجزيرة لم تشعر تقريباً بوجودهم خلال سبعة الأشهر التي أقاموا خلالها فيها، وذلك لاستسلامهم ومراعاتهم للنظام".

النزعة الاستعمارية: النزعة الاستعمارية التي عرفت في العصور الأخيرة اختلفت جوهرياً عن تلك التي عرفت في الماضي، وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر. في نهاية القرن التاسع عشر أصبح مصطلح الاستعمار متضمناً في المصطلح الأكثر شمولاً وتعقيداً التوسع، الذي سيمثل الاتجاه الذي ساد لدى معظم القوى، التي ساد فيها التوجه الرأسمالي، لفرض السيطرة السياسية المباشرة على معظم المناطق المتخلفة في

قارتي أفريقيا وآسيا. ومن المكونات المميزة لهذه الظاهرة نذكر تضخم الإنتاج في المجتمعات الصناعية، وتأكد عقائد العنصرية وترسخ مفاهيم القومية. وفي هذا الإطار سوف تتم صياغة مفهوم نشر الحضارة لمصلحة الشعوب المستعمرة، كمبرر لممارسة سياسات التوسع المناطقي الاقتصادي والسياسي في العالم حتى أخذت مرحلة التحرر من الاستعمار تنتشر تدريجياً بعد الحرب العالمية الثانية.

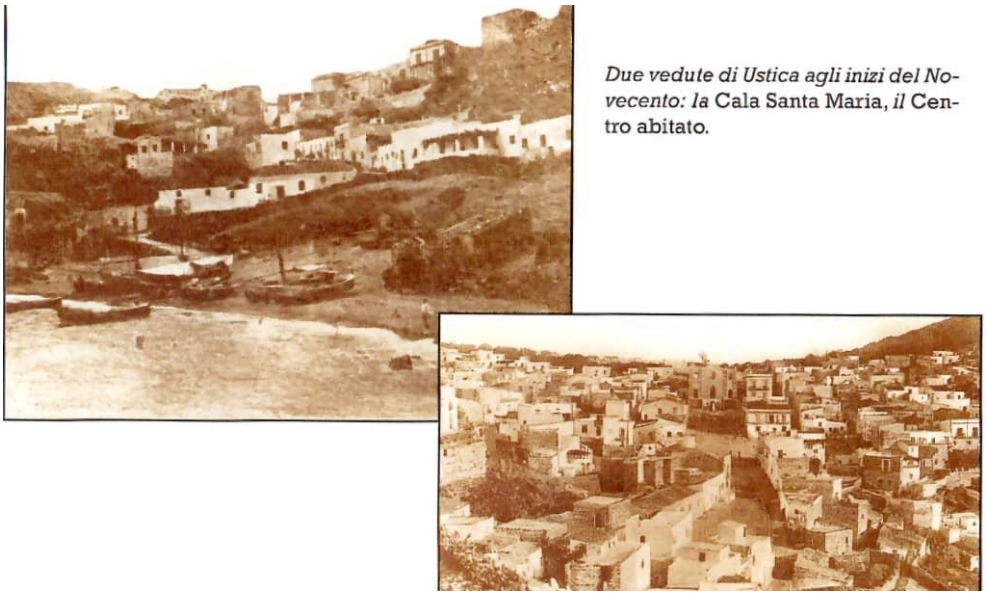

Due vedute di Ustica agli inizi del Novecento: la Cala Santa Maria, *il* Centro abitato.

صورتان لأوستيكا في بداية القرن العشرين: مرتفع سانتا ماريا. المركز السكني.

في الصورة الأولى تبدو الجزيرة كما ظهرت في عيون المنفيين عقب خروجهم من مخازن السفينة (رومانيا): بضع منازل مطلية بالأبيض، وعلى الشاطئ بضع قوارب ومنصة مراقبة. وكانت منصة المراقبة قد أقيمت بعد وصول الفوضويين في نهايات القرن التاسع عشر، لمراقبة حركة القوارب. منذ ذلك الحين كان على الصيادين أن

يسلموا مجاديف قواربهم للعسكرين الذين يتولون الحراسة، عند عودتهم من رحلات الصيد: وكان هذا كافياً لمنع أي محاولة للهروب من الجزيرة.

في سنة 1911م كان يعيش في الجزيرة حوالي 1000 نسمة، إضافة إلى المبعدين قسرياً والعاملين في جهاز الشرطة. كانت مساحة الجزيرة التي تبعد عن باليرمو بمسافة 36 كيلومتراً حوالي 809 هكتارات، ومركز سكني واحد، يوجد بداخله الحجرات التي كانت تخصص لسكن المبعدين أو المنفيين الليبيين. كانت الجزيرة تحظى بحراسة مشددة من قبل قوات الأمن، وكان من المستحيل الفرار منها بسبب الحراسة المشددةِ.

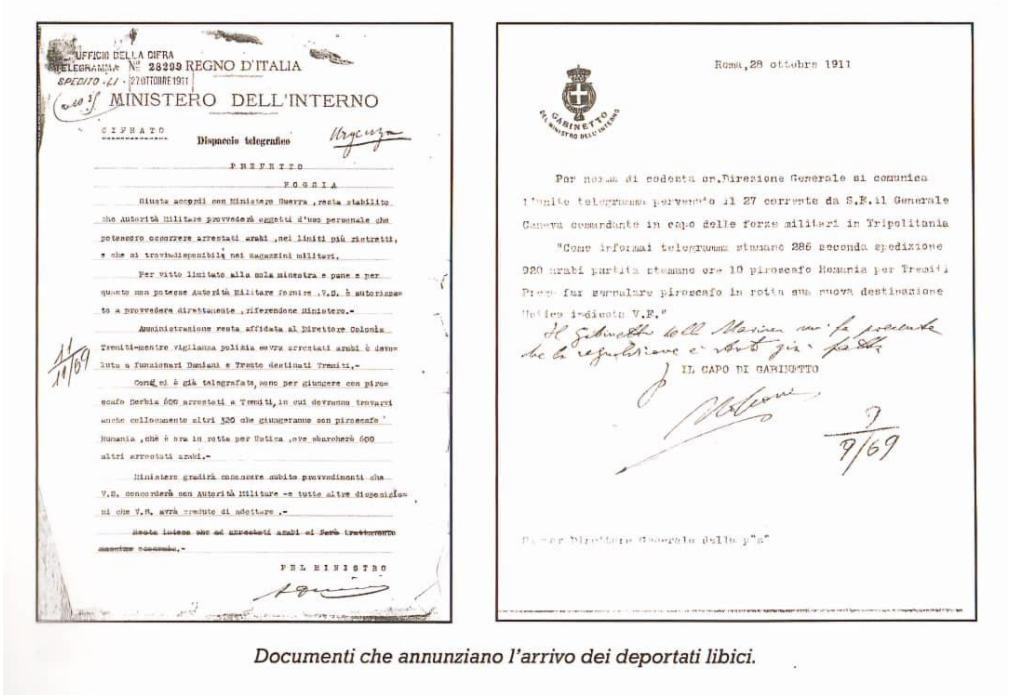

UFFICIO DELLA CIFRA
TELEGRAMMA N° 28299 REGNO D'ITALIA
SPEDITO IL 27 OTTOBRE 1911

MINISTERO DELL'INTERNO

CIFRATO

Dispaccio telegrafico

PREFETTO

POGGIA

Giusta accordi con Ministero Guerra, resta stabilito che Autorità Militare provvederà sgarco d'uno personale che potessero scortare arrestati arabi, nei limiti più ristretti, e che si trovino disponibili nei magazzini militari.

Per vitto limitato alla sola minestra e pane e per quanto non potesse Autorità Militare fornire, V.S. è autorizzato a provvedere direttamente, riferendone Ministero.

Amministrazione resta affidata al Direttore Colonia. Tremiti-mentre vigilanza polizia sovra arrestati arabi è devoluta a funzionari Daunia e Trento destinati Tremiti.

Corre ci è già telegrafato, sono per giungere con piroscafo Derbia 600 arrestati a Tremiti, in cui dovranno trovarsi anche collocamento altri 320 che giungeranno con piroscafo Romania, che è ora in rotta per Ustica, ove sbarcherà 600 altri arrestati arabi.

Ministero gradirà conoscere subito provvedimenti che V.S. concorderà con Autorità Militare -e tutte altre disposizioni che V.S. avrà credute di adottare.

Resta inteso che ad arrestati arabi ci Serbi tratterranno ancora concordo.

PEL MINISTRO

11/1/69

GABINETTO DEL MINISTRO DELL'INTERNO

Roma, 28 ottobre 1911

Per norma di codesta on. Direzione Generale si comunica l'unito telegramma pervenuto il 27 corrente da S.E. il Generale Caneva comandante in capo delle forze militari in Tripolitania

"Come informai telegramma ministeriale 286 seconda spedizione 920 arabi partita stamane ore 10 piroscafo Romania per Tremiti. Prego far formulare piroscafo in rotta sua nuova destinazione Ustica indicata V.E."

Il Subalterno della Marina mi ha prevenuto che la regolazione è avvenuta già [illegible]

IL CAPO DI GABINETTO

9/69

Direzione Generale delle p.s.

Documenti che annunziano l'arrivo dei deportati libici.

وثيقتان تتضمنان خبر وصول المنفيين الليبيين.

بعد الهزيمة التي وقعت للقوات الإيطالية في شارع الشط، حدثت لدى الجنود الإيطاليين ردة فعل انتقامية عنيفة، من خلال القتل العشوائي، والاعتقال الجماعي بدون تمييز. وبأوامر من جوليتي في 26 أكتوبر حمل الموقوفون على السفينة رومانيا، لنقلهم إلى جزر تريميتي، ولكن خلال الرحلة تم تغيير مسار السفينة رومانيا فتحول إلى أوستيكا. في هذه الأثناء توجهت سفن أخرى نحو جهات مختلفة، خصصت لإقامة المبعدين: 1367 أنزلوا في تريميتي، 920 في أوستيكا، وآخرون سوف يرسلون بالتدريج إلى فاڤينيانا وبونزا وقاييتا. وبالمجمل بين 29 أكتوبر و3 نوفمبر 1911م وصل إلى هذه الأماكن 2975 ليبياً.

Lo sbarco dal piroscafo Rumania.

الوصول إلى أوستيكا في 29 أكتوبر 1911م – النزول من السفينة رومانيا.

ألقت السفينة رومانيا . قادمة من طرابلس وهي تحمل 920 منفياً . مراسيها في مياه كالا سانتا ماريا في أوستيكا. وحسب أولى المعلومات في هذا الشأن كان 600 منفي موجهين إلى أوستيكا، في حين أن 320 آخرين إلى جزر تريميتي، ولكن ربان السفينة، وقد وصل إلى أوستيكا وهو يرفع الراية الصفراء على الشراع الأكبر، للإعلان عن وجود موتى بسبب الكوليرا في السفينة، ولأنه لم يكن يوجد لديه الفحم والماء، ولم يسمح له بالتزود بهما في الموانئ التي مر بها، إذ كانت السفينة قد وضعت في حالة الحجر الصحي، فقد طلب الإذن من وزارة الداخلية بإنزال كل الـ 920 منفياً في أوستيكا. بعد رحلة لمدة 3 أيام من طرابلس إلى أوستيكا، كان فيها المنفيون مكدسين في مخازن السفينة في ظروف صحية لا يمكن تخيلها، ولا يطعمون إلا أرغفة من الخبز، وصلوا إلى أوستيكا في أحوال تثير الشفقة، ثلاثة منهم كانوا مصابين بأمراض مشتبه فيها، وبعضهم وجدوا موتى في المخازن، وخمسة ماتوا خلال الرحلة. كما أن الهبوط من السفينة كان أيضاً معقداً، فحيث إن الجزيرة لم تكن تتوفر فيها الوسائل اللازمة، كان المنفيون يهبطون من السفينة باستخدام سلالم غير ثابتة، إلى قوارب ذات مجاديف،

تحملهم إلى الشاطئ، وهناك يحملون على اليابسة بواسطة عبارات خشبية، تتحرك على عجلات. بعد تجميعهم على الشاطئ، يقبعون تحت حراسة مباشرة من الشرطة والعسكريين المسلحين، في انتظار نقلهم إلى البلد.

ليبيون يقادون في ساحة المركز السكني.

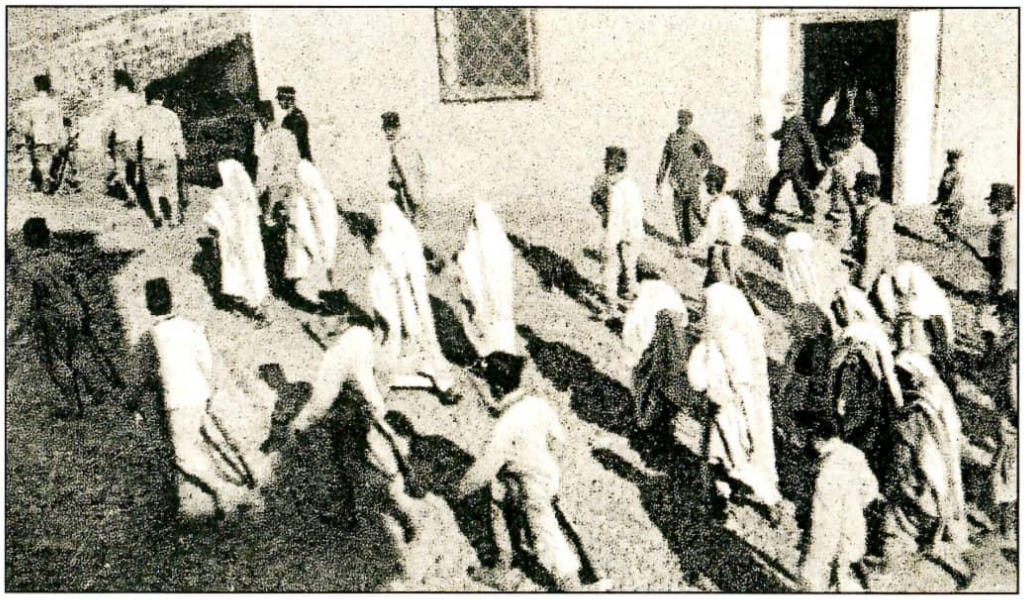

Libici condotti nella piazza del centro abitato.

بعد انتهاء عملية الهبوط من السفينة، يقاد الليبيون، تحت حراسة الشرطة والجنود، نحو ساحة المدينة. وكان الخبر قد وصل إلى الجزيرة كصاعقة في سماء صافية قبل ذلك بيومين. وكان مدير المستعمرة أنتونيو كوتريرا، وقد أبلغه المحافظ بالخبر، قد وفر أماكن لإقامة 650 فرداً، وإيواء 600، كما أمر بتحديد 40 موظفاً لا يجوز نقلهم لتأمين الخدمات في الجزيرة. وقد أرسل المحافظ قدوراً وصحوناً وملاعق، مع العمل على نقل المبعدين الإيطاليين من الجزيرة، لإيجاد مكان للمنفيين، وإرسال 200 جندي بقيادة

عقيد، و25 شرطياً. كما نقل أيضاً إلى الجزيرة موظفون مختارون والطبيب العسكري الدكتور كازابينتا، لتنظيم الخدمة الصحية.

Preliminari alla sistemazione negli alloggi.

صورة تذكارية للمنفيين ورجال الشرطة

تظهر الصورة المنفيين الليبيين في ساحة المدينة، محشدين في مجموعة جلوساً على الأرض، مجهدين تماماً جراء الرحلة الطويلة، بينما يقف الجنود الذين صاحبوهم من طرابلس، يتهيؤون للصورة هم ورجال الشرطة والحرس البلدي. لقد كان للجنود أكبر عدد من الضحايا في شارع الشط، وكنوع من التعويض تم اختيارهم لمرافقة الليبيين في مكان النفي. وكما كتب كوتريرا "لم يمتنع الجنود، خلال الرحلة، عن القيام بأعمال تنم عن روح الانتقام"، وعن أشكال من سوء المعاملة. ويظهر بعض محبي الاستطلاع واقفين في شرفة أحد المنازل يتابعون المشهد.

تظهر البطاقة البريدية مزيداً من المعلومات: صورة طاولة في وسط الساحة وفرتها السلطات لتوثيق هوية المنفيين قبل توزيعهم على غرف الإقامة. ولكن وثائق الأرشيف تفيد أن توثيق هويات المنفيين لم يتم في تلك المرحلة ولا حتى بعدها مباشرة، بدليل أن المحافظ ما زال بتاريخ 3 ديسمبر يشتكي من أن القائمة الكاملة للمنفيين لم تكتمل بعد، بالمعلومات الأساسية لكل منفي. ولم يتم إرسال القوائم الكاملة للوزارة إلا بتاريخ 18 فبراير 1912م.

Il camerone *della* Marina.

زنزانات البحرية

كانت الزنازين عبارة عن غرف تملكها الدولة أو استأجرتها خاصة لإيواء المحتجزين. لم يكن بها مرافق صحية ولا ماء، مزودة بنوافذ صغيرة بها عوارض حديدية وبوابات. وفي مداخلها جهزت أماكن خاصة لإقامة العسكريين المكلفين بالحراسة. كانت الحراسة نهاراً وليلاً لمنع أي أجانب من الاقتراب من الزنازين، ومنع المعتقلين من الخروج. كانت التجهيزات غير إنسانية: وكما كتب كوتريرا في أحد تقاريره إلى الوزارة

بتاريخ فبراير 1912م "كان الليبيون المرميون على فرش من التبن، يحشدون في زنازين المنفيين بطريقة لا تحترم إنسانيتنا ولا كرامتنا".

كانت الحياة في الزنازين جهنمية، بسبب الأعداد الكبيرة للمعتقلين (ربما حتى 50 معتقلاً في الزنزانة الواحدة، التي كان يفترض ألا يوجد بها أكثر من 15–20 فرداً)، الذين يعيشون في ظروف صحية لا تحتمل. وتذكر السلطات الصحية أن المعتقلين كانت تتم زيارتهم يومياً، وكانت تفصل الأصحاء عن المرضى، وأن المراحيض كانت تفرغ مرتين في اليوم، وأن الزنازين كان يتم تطهيرها بشكل مستمر، ولكن لم يكن من السهل مواجهة انتشار الأوبئة القاتلة. كما أن الغذاء كان شحيحاً، غير مناسب، ومجهز بطريقة مستعجلة، حيث إن المستعمرة لم تكن مجهزة لتوفير أكثر من 1000 وجبة في اليوم. وكانت حصة الفرد اليومية تتكون مما يلي: 750 جراماً من الخبز، الساعة 9 صباحاً، 200 جرام من المكرونة، خضر مسلوقة، أو أرز بالخضر، ولوجبة الغداء: مكرونة في حساء أو شربة في العشاء. وكان يوزع على المتعافين في المستوصف برودو ولحم وقهوة ونبيذ. وكانت هذه حصص غير كافية كما ذكر المفتش لوتراريو الموفد من الوزارة وأمر بزيادة الحصة من الخبز، وإضافة 160 جراماً من اللحم في الأسبوع. وقد تحسن الوضع قليلاً عندما تم، بناء على طلب المدير كوتريرا تخويل الليبيين إعداد الطعام وتوزيعه، ما يؤدي إلى تجنب أي ممارسات لغير صالحهم. وبعد مرور ثلاثة أيام من وصولهم لم يعد ممكناً توفير وجبات ساخنة.

كان أمر النفي قد صدر عن رئيس الحكومة جوفاني جوليتي، وقد تولت الإشراف على تنفيذ الأمر بترتيب إقامة المنفيين في الجزر وزارة الداخلية. ولمواجهة الظروف الصحية القاسية التي سببت منذ الأيام الأولى العديد من حالات الوفاة (وقعت الحالة الأولى يوم 29 أكتوبر 1911م, يوم وصول المنفيين، تلتها 3 حالات في اليوم التالي،

ثم 5 حالات في اليوم الذي يليه)، وعلى الفور صرحت الوزارة بشراء أرض تستخدم مقبرة، وتأجير منزل كبير في حافة المركز السكني يخصص لإيواء المصابين بالجذام، وإنشاء مركز تمريض، واتخاذ إجراءات إرسال طاقم طبي للعمل به، يتكون من أطباء وممرضين وعناصر صحية للحراسة.

ليبيون يساقون إلى الحمام تحت الحراسة

وقد تبنى الطبيبان العسكريان بادينو وكالاميتا، اللذين وصلا بعد أيام قليلة من وصول الليبيين؛ إجراءات قاسية في محاولة لوضع حد لوباء الكوليرا، الذي كان قد سبب ضحايا كثيرة، فقادا المنفيين للاستحمام على الشاطئ، حيث نزعت عنهم ملابسهم الثقيلة التي كانت عليهم منذ عدة أيام، وتم غسلها بالصابون.

حمام المنفيين

وعلى الرغم من الظروف المناخية السيئة قام المنفيون بالاستحمام، تحت حراسة رجال الشرطة، وعلى مرأى من بعض محبي الاستطلاع من الجمهور. كان الوقت أواخر نوفمبر، وأدت تلك العملية إلى العديد من الإصابات بالالتهابات الرئوية. وبعد الحمام، كان على المنفيين ترك ملابسهم (المجمعة على الشاطئ)، ليلبسوا ملابس المنفيين، وملابس أوروبية أرسلت من باليرمو، وقد تبرع لهم السكان ببطاطين وملابس لمواجهة برد الشتاء.

وبعد الاستحمام وارتداء الملابس الجديدة، كان الليبيون يصطحبون، تحت الحراسة، إلى الزنازين، التي تم خلال ذلك الوقت غسلها وتطهيرها وتبييضها بالجبس، وكانت الفرش تمر على آلات التطهير.

جرود (عباءة) تشعل فيها النار

كانت العباءات المتروكة تحرق في الميدان العام، ولم يكن اختيار المكان عشوائياً، ولكن مختاراً ليوفر أكبر قدر من الدعاية للعناية الصحية المتبعة بصرامة شديدة، لطمأنة الرأي العام. وقد كان للتوتر مبررات قوية، وذلك أن الألف من السكان في الجزيرة وجدوا أنفسهم فجأة مضطرين للتعايش في تلك المساحة المتوفرة في التجمع السكني مع 920 ليبياً، معظمهم مصابون بأمراض وبائية، و200 عسكري. وهكذا كانت نسبة الخطورة بالتعرض للعدوى عالية جداً، إضافة إلى أن مغادرة المبعدين أضرت بالاقتصاد المحلي الفقير، الذي كان قد تضرر بسبب الزلزال الذي ضرب المنطقة منذ عدة سنوات، وأجبر سكان الجزيرة على مغادرتها مؤقتاً. ولتقوية الاحتياطات الصحية صدرت أوامر صارمة بمنع الخروج من الزنازين، ولم يسمح للمنفيين، إلا في منتصف نوفمبر، بالخروج لبضع ساعات في شكل مجموعات، ترافقها مجموعة من الجنود بقيادة الحراسة، كما تم تحسين

الظروف الصحية في أماكن الإقامة بتوظيف أربعة ممرضين برئاسة مدير ممرض، من بين المحكومين بالإقامة الجبرية، هو الفريدو ألبيرتاتسي، الذي تميز بأعمال عالية المستوى من الإنسانية.

وبلا شك كانت هذه أكثر مستعمرات المعتقلين السياسيين إرهاباً التي تمكنت من زيارتها. تستقبلك الروائح العفنة من مسافة 10 دقائق مشياً من الشاطئ. وتزداد الصورة قتامة كما لو كنت على باب معزل لمرضى الجذام. وكلما اقتربت السفينة، أصبح الناس يلتزمون الصمت. كما لو أنهم كانوا يجبرون على التضحية.

المشهد العام كان بخلاف ذلك ودياً. فأوستيكا كما تبدو من القارب المؤدي إلى الشاطئ، ربما أمكن الظن بأنها جزيرة سائحين. الخضرة التي تكسو المرتفعات التي تحيط بها، بمنازلها المتناثرة هنا وهناك، في شيء من الفوضى المحببة الجذابة. ولا تبدأ خيبات الأمل إلا عند الهبوط. فأول من تجده على الشاطئ مندوبي الحكومة ورجال أجهزة الشرطة وممثلين عن الجمعيات الخيرية. والنموذج الذي تلاقيه حيثما وضعت أقدامك هو المبعد. هذا المبعد هو من طُبّق عليه نظام عقابي موروث من أزمان غابرة، فهناك المبعد السياسي، والمبعد العام. الأول يمكن أن يكون (il costa o il malatesta)، أما الثاني فهو محكوم انتهت المدة المحكوم عليه بها، ولكنه لم يستوف الاحتياطات المتعلقة بالرقابة، والرقابة هي أشد العقوبات التي يمكن تخيلها إيلاماً.

ومن الشاطئ يصعد إلى المدينة حتى شارع فيتورير إيمانويلII الذي يؤدي إلى ميدان أمبيرتو I. ولا تتمكن هبات الهواء الضعيفة من مقاومة الضغط الذي يستقبلك ويحيط بك.

لقد بحثت وتمكنت من ملاحظة تكدس المواد التي كانت في الزنازين التي تضم مساجين الحرب. وقد أوشكت على الاختناق. والسبب؟ سألت شخصاً قابلته في الشارع: هل يفقد العرب المكلفون بنقل محتويات خزانات المياه السوداء إلى البحر حقوقهم.؟ هناك في كل ناحية من

الشارع ما يصعد إليه بدرجات من الركام، مرمية على الأحجار للتخفيف من روائح الطاعون، ما يدفع للقول بأن الإرشادات الصحية التي قررها آخر ذوي العلاقة لم تجد طريقها إلى أوستيكا. فكما قيل لي إن السلطات لم تسمع بها ولم تمثل لديها أي مخاوف. في أغسطس من العام الماضي، قبل وصول السجناء التسعمائة، كان مرض الكوليرا موجوداً. مات بسببه 30 مصاباً. تم دفنهم، ولم تؤد متطلبات النظافة إلى أي خصومات أو تمرد. وقد استوت أسباب الموت: بالجدري أو بالأنفلونزا الكزازية، أو بأي مرض معد. وكان مما يثير العجب ذلك الهدوء الذي كان سكان الجزيرة يواجهون به ظاهرة الأمراض المعدية. إن الظروف الصحية التي كانت سائدة في أوستيكا، كان من شأنها أن تدفع السكان ذوي الحساسية تجاه مسائل الصحة العامة للهرب، وترك الساحة للحمير، تسبقها المعز والخنازير التي تتغذي في الشوارع في صحبة الدجاج. الأوستيكيون باردو الأعصاب. يتركون الحوادث تجري وفق الحتمية التاريخية. فما إن سمعوا إنه من أجل التطهير يتم التفكير في إبعاد العرب والأتراك أصابهم الرعب. فذلك يعني المساس بمصالحهم. يفكرون في أن الناس يموتون بسبب الوباء، ولكنهم لا يعيشون بالهواء والنظافة. لم يكن لأوستيكا حياة خاصة بها. فكل سكانها يعيشون بشكل طيب. ليس بينهم متسول، ولكن بدون مبعدين أو مجرمين أو سجناء حرب يتحولون كلهم إلى حال سيء. فالحياة الرديئة هي حياتهم. ولأوضح كلامي. السجون الموجودة في أوستيكا كانت تختلف عن تلك الموجودة في أماكن أخرى. لم يكن هناك مؤسسات عقابية أو مبان مخصصة لإيواء الناس الموجودين في يد العدالة. فالسجون الأوستيكية هي عبارة عن غرف في البيوت المسكونة أو القابلة للسكنى. فكلما كان هناك أناس يتعرضون لأحوال سيئة، كانت هناك حاجة للبحث عن أماكن. صاحب المكان يكون سعيداً بتحويل الغرفة التي لديه إلى زنزانة، بتركيب أسياخ من الحديد في النوافذ وأبواب من الحديد في المداخل والمخارج، فهذا يحقق له ربحاً وفيراً؛ إذ يزيد في دخله السنوي 400 ليرة. وكان من هؤلاء 18 أو 20 فرداً. كلهم كانوا يسكنون في الدور الأرضي، ولهم بوابات تفتح إلى الخارج، بما يسمح للمارّ برؤية السجناء ولو بدون إذن أجهزة الشرطة. ففي كل عطفة وكل شارع واسع ترى نقطة مراقبة حمراء، وفرقة من الحراس، وبوابة،

يوجد وراءها العرب والأتراك والسودانيون منحنين أو جالسين على أعقابهم المغطاة بالبطاطين. وفي نقطة المراقبة أو بالقرب منها يوجد شرطي مستنداً يحمل بندقيته على ظهره، ولديه تعليمات صارمة بألا يسمح لأي مار من هناك بالتوقف وباعتقال كل من يجرؤ على الحديث مع المساجين، أو بتجهيز آلة التصوير لالتقاط صورة. قوة الحراس تراها أمامك أو إلى جانبك أو في أي مكان قريب، وهي دائماً كثيفة في المدخل. ولم يكن اختيار عناصر شرطة الحراسة على العرب يتم بطريقة عشوائية. فقد اختير الحراس من أولئك الذين يمكن أن يتذكروا كل لحظة من المأساة التي تعرض لها رفاقهم التي وقعت في تلك الواحة الطرابلسية يوم 23 أكتوبر. ومن ثم فليس ثمة خشية من وجود أي تعاطف بينهم وبين المساجين. الحراس لم يكن لديهم أي تعاطف مع المساجين، بما يعني أن المساجين كانوا يعاملون كحيوانات. ويكفي تذكر أولئك الذين يسخرون للعمل الشاق طوال النهار مقابل ثماني ليرات في اليوم. كانوا كلهم تقريباً حفاة، ويلبسون زي المعتقلين الذي يجعلهم يبدون أكثر قبحاً وقذارة مما هم عليه بالفعل. يحملون براميل الماء على ظهورهم، يتجهون من الشاطئ ثم يتوزعون في أنحاء المدينة لإنزالها، يتبعهم جندي من القوات الخاصة، مكلف بألا يمنحهم أي فرصة للراحة. تراهم يتصببون عرقاً ويلهثون تحت وطأة صوت العسكري الذي يلاحقهم:

- *إلى الأمام... إلى الأمام*
- *ذلك المهزوم من طرابلس أو برقة، يعيد حمل البرميل على ظهره خاضعاً مستسلما.*
- *إلى الأمام... إلى الأمام*

وقد رأيت سجيناً آخر وهو يهبط بالبرميل الفارغ، وقد حاول عند مروره بالساحة أن يشتري بصلة. البائع طلب ليرتين، لكن العربي أشار بأصبعه أنه يدفع له ليرة واحدة.

- *إلى الأمام... إلى الأمام*

وبلا شك إن حشد كل ذلك الجيش من مساجين الحرب غير إنساني. أنا هنا أعرض عليكم القصة في بضع كلمات.

في 29 أكتوبر دخلت إلى الميناء السفينة رومانيا تحمل 938 أو 939 أو 941 بين أتراك وعرب وبدو. وقد بلغ الازدحام على السفينة حدا أن الجنود المكلفين بالحراسة لم ينتبهوا إلى أن خمسة من المعتقلين كانوا قد ماتوا بسبب الكوليرا. ولم يعر أحد ذلك أي اهتمام. بعد إنزال الأحياء عادت السفينة إلى عمق البحر ورمت الموتى مغطين بعباءاتهم. هذه العباءات بعد عدة أيام من السفر لم يكن ممكنا إلا أن تكون قذرة ومغبرة. قم برحلة وسترى كيف تكون ملابسك في حالة سيئة.

ومن أجل استضافة عدد هائل من المساجين كان لابد من توفير مكان متسع، به أماكن للمراقبة والتعقيم. في أوستيكا، كما سبق أن قلت، لم يكن هناك إلا غرف في منازل الأفراد، وفتحة في قمة الجبل إلى يمين الميناء، كانت في زمن مضى كهفاً للقراصنة. لم يكن ثمة خيار. لقد تم تخزين العرب في تسع عشرة أو عشرين غرفة، دفعت الدولة إيجاراً لكل واحدة منها 400 ليرة في السنة. كانت غرفاً بلا إنارة وبلا هواء. وكانت الغرفة التي تتسع لخمسة أو ستة أو عشرة أفراد، يكدس فيها عشرون أو ثلاثون، بل ربما أيضاً أربعون. ويمكنكم أن تتخيلوا الحرارة الخانقة والرائحة العفنة. ولم يكن ممكناً استكمال كل الاحتياطات. تم حرق عباءاتهم وما لديهم من متاع، وتم غسلهم في المغاسل المعتادة، ولكن المرض الذي كان ينتشر بينهم بقي كما هو. ويبقى عالم الميكروبات عاجزاً في مكان يكون فيه أجر مالك البيت أعلى من أي اعتبار. فبالنسبة له تكفي عملية تبييض البيت. فقد تم تبييض كل البيوت التي تحتضن جنوداً ومساجين بدهان يبقى على سترة من يلمسه أو يقترب منه. مكدسين بعضهم على بعض لم يكن ممكناً أن يعجب من ذلك الموت، ويصبح الهواء في الغرف خانقاً: ثقيلاً محملاً بكل الروائح والالتهابات. كل تلك الأجسام، المتسخة وسيئة التغذية ومهلهلة الملابس، ترتمي على فرش القش على الأرض دون غطاء ودون ملابس داخلية (كل المساجين لم يكن لديهم ملابس داخلية)، وليس لديهم سوى بطانية واحدة ربما تكفي فقط لتغطية الرأس، لا الجسم. وغالباً ما يرقد هؤلاء، بدافع الكسل، على إفرازاتهم من البراز. يضاف إلى كل هذا البؤس نتيجة التلاصق

البشري المخلفات السوداء التي تترك طوال النهار والليل في ركن من أركان الغرفة لتلويث الهواء والبشر. وكانت تلك الآنية تفرغ مرتين صباحاً وبعد الظهر.

في مثل هذه الظروف المرعبة لم يكن ممكنا أن ينشأ إلا الوباء. يموتون، ويموتون بسرعة مذهلة. وللموتى هناك مكان. يقع خارج المنطقة المسيحية. ذهبت لرؤيته. يوجد في الناحية الأخرى من الجبل. على شاطئ البحر. حفرت حفر طويلة بعمق رجلين واقفين. وفي أقل من شهرين تم دفن مائة وثلاثين. وربما أكثر. اليوم بالذات مات أحدهم. وكان هذا بالنسبة لي مخيفاً. ولكنه يبدو بالنسبة للسلطات الذين يقيمون علاقات مع أصحاب الغرف عاديا.

وقد انتشرت الأمراض أيضاً بين العسكريين ورجال الشرطة. قسم التمريض، أو المكان الذي اتخذ صالة للتمريض، تم تأجيره بمبلغ 900 ليرة. وتم تحوير مكان إلى قسم لعزل مرضى الجذام. مقابل إيجار 3000 ليرة. وإذا أضفنا جهاز الحرس والعاملين في المطبخ والمنازل التي يسكن بها الضباط والجنود فسوف نفهم لماذا لا يمثل هذا مصدر إزعاج أو مخاوف للسكان من تفشي الجذام.

بالنسبة لهم كان الأمر شبيهاً بدور الإشبين. وكما قلت سابقاً، يوجد مكان للموتى على شاطئ البحر.

باولو فاليرا

تقرير باولو فاليرا، الصحفي المشهور في صحيفة (أفانتي) والمعارض الشديد للاحتلال الإيطالي لليبيا، الذي كتبه بمناسبة زيارته للمستعمرة العقابية في أوستيكا، نشر في 20 يناير 1912م في الصحيفة الاشتراكية. في تلك المناسبة، صدرت تعليمات حكومية، بتحذير الموظفين التابعين للحزب الاشتراكي من إعطاء أي معلومات حول المنفيين الليبيين. ولكن فاليرا نجح في التهرب من الرقابة، وتمكن من إجراء مقابلات

والحصول على معلومات، بل إنه حصل أيضاً على مذكرات سلمها إليه بعض السكان المعارضين لوجود الليبيين في الجزيرة.

أولى الإجراءات الصحية التي اتخذها الطبيب العسكري الملازم كازابينتا كانت عزل الأفراد المصابين بأمراض معدية عن الأصحاء. ولهذا الغرض تمت مصادرة منزل السيد جوزيبي ديل بونو في ساحة إطلاق المنجنيق، والمنزل الملاصق له منزل السيد رافاييل ناتالي. استقبل في هذا المكان 70 مريضاً في الوقت نفسه. وفي ظروف العزل هذه سجلت حكايات عن نماذج من حالات الإيثار والتضامن لدى بعض العاملين في القسم. البيت الذي تبلغ مساحته 165 متراً مربعاً، كان ملكاً للقسيس لاروزا، مكون من خمس غرف، ومطبخ، ومصلى، وغرفة خزين، وفرن، وخزاني مياه وحديقة مساحتها 47 مترا مربعاً. وقد خصص المصلى كمكان لنوم المرضى المتعافين.

وسوف يستخدم هذا البيت نفسه كمحجر لمرضى الجذام في سنة 1915م.

المنطقة المخصصة كمقبرة، مجاورة للمقبرة الصغيرة في الجزيرة، مقابل البحر، تم شراؤها مباشرة عقب تكاثر حالات الوفاة لدفن الليبيين الذين كان يموت منهم كثيرون منذ الأيام الأولى لوصولهم. وقد برر مدير المستعمرة أنتونيو كوتريرا هذا الاختيار بقوله: "كان من الضروري إيجاد مقبرة إسلامية، سواء بسبب احترام الجانب الديني لدى سكان الجزيرة، أو بسبب عدم كفاية المقبرة التي كانت موجودة". كما جاء في إحدى مراسلاته للوزارة "إن جثامين المنفيين الليبيين كانت تحفظ في صناديق من الخشب، نظراً لعدم توفر إمكانات الدفن حسب التقاليد العربية، لعدم وجود الرمل في المنطقة، وكذلك لأنه في عمق بضع سنتيمترات توجد تحت الأرض كتل صخرية كبيرة مكونة من صخور

بركانية، كان يلزم لكسرها واختراقها استخدام المتفجرات، وقد جعلت حمل الجثامين يتم بأيدي العرب أنفسهم، الذين كانوا محتجزين في قسم حجر مرضى الجثام، تحت رقابة وحراسة (RR) الشرطة. وفي سنة 1913م أشرف كوتريرا على إحاطة المنطقة بأسوار عالية مزخرفة بأنصاف دوائر ترمز للهلال الإسلامي، وقام بوضع لوحة تذكارية تحمل أسماء الليبيين الذين توفوا منذ 1911م.

صورة لوحة معلقة في المقبرة الليبية:
في هذه المقبرة تم دفن 132 من المنفيين الليبيين بين 29 أكتوبر 1911م و9 يونيو 1912م.

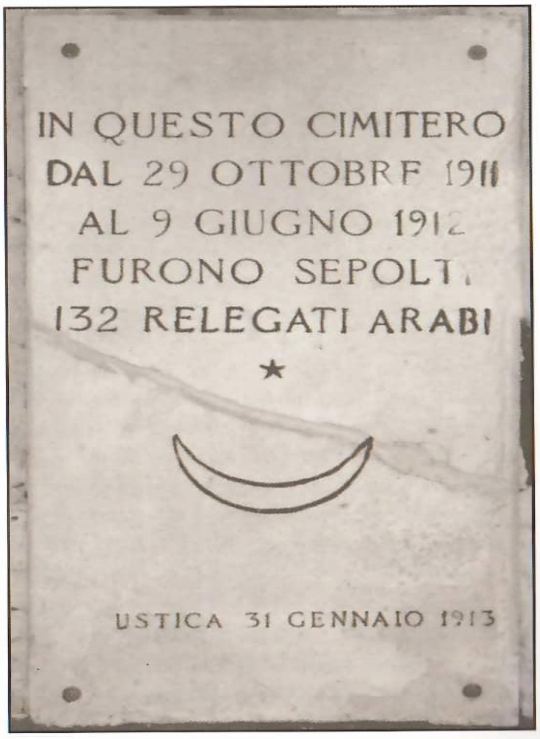

Lapide apposta nel Cimitero degli arabi.

وبعد ذلك استخدمت تلك المقبرة لليبيين الذين توفوا في 1915–1916م. ليس ثمة تأكيد حول عدد الموتى سنة 1911م.

127 منهم تظهر أسماؤهم في سجلات السجل المدني، و132 على اللوحة التذكارية وسجلات الأرشيف. ولذا يبدو أن خمسة موتى لم يتم تسجيلهم في دفاتر السجل المدني. وإلى هؤلاء يجب، بناء على تقرير المفوض كوتريرا في 11 ديسمبر 1911م، إضافة 5 موتى تم رميهم في البحر

خلال الرحلة البحرية، وآخرين لا يعرف عددهم وجدوا في مخازن السفينة رومانيا عند إخلائها من الركاب، وآخرين رمت بهم السفينة عند مغادرتها الميناء في أعالي البحار.

الوفيات:

سجلت حالات الوفاة في سجلات البلدية وتضمنت المعلومات التالية:

الميت الأصغر سنا كان عمره 16 سنة، والأكبر سنا 70 سنة. 6 منهم كانوا في العشرين من عمرهم. وقد ذكرت مهن ستة فلاحين وخياط، ولم تدون أسماء 35 ليبيا من الموتى، أحدهم وصف بأنه (أصم أبكم) و24 آخرون لم يذكر إلا الاسم الأول: علي، مصطفى، محمد .. إلخ. ذكرت أسماء الجميع، وخمسة وأربعون ذكرت المدينة التي جاؤوا منها (41 من طرابلس، 2 من السودان، والآخرون من مناطق في ولاية طرابلس. 70 من حالات الوفاة وقعت في 29 أكتوبر 1911م وفي 3 يناير 1912م. وقد ذكرت أسباب الوفاة بطريقة تقريبية. وكان الأعم هو الموت بسبب الكوليرا (حوالي 69 حالة)، ولكن التقارير الطبية تذكر أمراضاً أخرى: السل، دوسنتاريا، الزهري، (enotemesi)، الإجهاد، الإسهال، الالتهاب الصدري، الفشل الكلوي، التهاب الأذن، التهاب السحايا، الحمى المعدية، الالتهاب الصدري، التهاب الرئة.

المغادرة:

في 4 مايو 1912م تم في السفينة واشنطن ترحيل 489 ليبيا، ثم تم في نفس السفينة ترحيل 270 بتاريخ 23 أغسطس 1912م. بقي منهم في الجزيرة 6، مات منهم اثنان، والأربعة الآخرون سافروا في 16 يونيو.

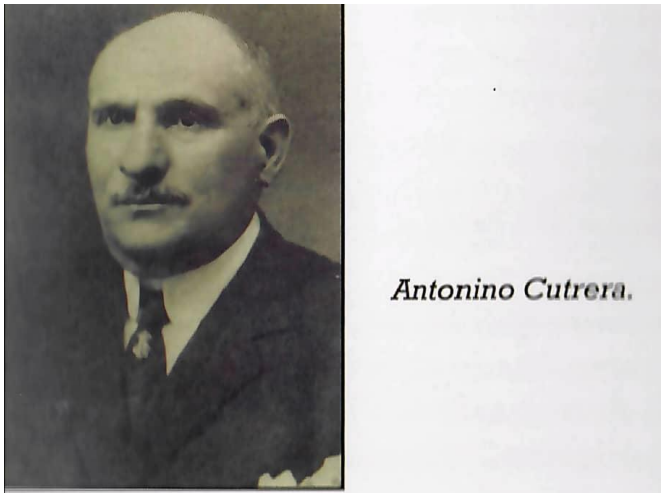

أنتونيو كوتريرا

كان المفوض أنتونيو كوتريرا في ذلك الوقت الذي بدأت فيه عملية النفي مديراً للمستعمرة في أوستيكا. وقد أشرف وأدار، بمستوى عال من الإنسانية والمسؤولية السياسية، وجود الليبيين في الجزيرة، ودون وصفه بأنه كان مدافعاً عنهم، فقد حرص على دفن موتاهم وفق التقاليد المتبعة في ديانتهم، ثم طلب، وحصل على الموافقة على طلبه، أن يسمح لهم بإعداد طعامهم بأنفسهم، لمنع أي مجال للتلاعب والسرقة، ولضمان أن تحترم عاداتهم وتقاليدهم، وكذلك أن يدفع لهم مقابل الأعمال التي يقومون بها. وقد نجح إلى جانب ذلك في إقامة علاقات شخصية تقوم على الاحترام المتبادل والدعم الإنساني، حتى أنهم أصبحوا ينادونه "بابا". وهذا على الرغم من الصعوبات الناجمة، كما كتب في التقرير الذي أرسله كما ذكرنا آنفاً إلى الوزارة، عن تحول المستعمرة المفاجئ من مكان لحجز المبعدين، إلى سجن حقيقي، يحتوي مساجين يتحدثون لغة غير مفهومة لنا، ويلبسون ملابس تختلف عن ملابسنا، لا ثقة لديهم فينا، ولعلهم في دخيلة نفوسهم يكرهوننا، لأننا السبب فيما حدث لهم. في فبراير 1912م، وفي تجاوز لصلاحياته المحددة، أرسل كوتريرا إلى محافظ باليرمو تقريراً مفصلاً، جديراً فعلاً بالذكر، فصل فيه الدوافع التي كان يجب في رأيه أن تدفع الدولة إلى تحرير المعتقلين العرب، ومن بينهم

شيوخ وشبان، الذين لم يكن لهم ذنب إلا وجودهم في شوارع طرابلس، وقيام الجنود الإيطاليين باعتقالهم"، ليجدوا أنفسهم مكدسين في غرف المبعدين بطريقة لا تتناسب مع احترام الإنسان ولا مع كرامتنا الوطنية". ثم يذكر أهداف إعادة النظر في هذه الأوضاع: إطلاق عملية إحلال السلام، إنجاز "عمل إنساني وحضاري"، تحقيق مشروعات اقتصادية حكومية، توفير وظائف منتجة للمبعدين في بلادهم، وأخيراً، التأكد من تطهير وتنظيف الجزيرة. ثم ينهي تقريره على النحو التالي: "وعندما ترى الوزارة أن الوقت بات ملائماً لإعادة المبعدين إلى بلادهم، فإني أسمح لنفسي باقتراح أن يتم تكليفي بالإشراف على هذه العملية، نظراً لأني نجحت، في إشاعة روح الاحترام والشفقة، وقد ألح المبعدون بطلب ذلك. إضافة إلى ذلك أكدت قدرتي، عند الرحيل، على استعادة كل البطاطين التي كانت سلمت إليهم وقيمتها 7000 ليرة، وكذلك الأواني. وكما كتب ماريو جينكو الذي تمكن من إجراء مقابلة مع ابنة المفوض بيتشي، تم قبول هذا الطلب. ولكن بيتشي لم تتمكن من تأكيد ما إذا كانت وزارة الخزانة قد استعادت سبعة الآلاف ليرة ثمن البطاطين، ولا الأواني. ولكننا نعرف أن كوتريرا لقي في طرابلس تأييداً وترحيباً من قبل السلطات البلدية.

أسرى حرب !! لم يكن ثمة ما يمكن أن يوجه إليهم. لم يفعلوا شيئا.. كان جوفاني جوليتي السجان.. وكان النواب جبناء.. أيها العرب العائدون إلى العرب.. حدثوهم كيف تمت معاملتكم في المملكة الدستورية.

باولو فاليرا

مقتطف من مقال بعنوان "نهاية أسرى الحرب".. نشر في جريدة (لا فوللا) عدد 14 بتاريخ 27 أكتوبر 1911م، ص20.

عملية النفي في 1915م

في 14 يونيو1915م حطت السفينة الملك إمبيرتو في أوستيكا وعلى ظهرها 778 مبعداً ليبياً؛ 730 منهم جاؤوا من الجماعات المنشقة في منطقة سرت، و26 معتقلون لأسباب سياسية و26 كانوا أصلاً معتقلين ومحكوم عليهم بالنفي بناء على أحكام سابقة من حاكم طرابلس. كلهم وصفوا بأنهم (رهائن)، وأنهم سوف يستغلون لمبادلتهم بمساجين إيطاليين وقعوا في أيدي المتمردين. وكان الليبيون المرحلون إلى الجزيرة تحت حراسة جنود مدفعية بقيادة ضباط وصحبة مترجم. وبعد قليل سوف ينضم إليهم آخرون، ذلك أنه بحلول مارس 1916م سيبلغ عدد المبعدين 1360، 141 منهم لن يعودوا إلى وطنهم وهم الآن مدفونون إلى جانب من ماتوا في 1911 و1912م.

وقد تمت عملية النفي الجماعي هذه إلى جزيرة أوستيكا وغيرها من الجزر في إيطاليا، في ظروف الثورة التي اندلعت في مناطق طرابلس سنة 1914م، وفي ظل فشل سياسة الاستيعاب، وإطلاق الحملة العسكرية لإعادة احتلال المستعمرة وحملة القمع التي شملت السكان المدنيين.

وقد شملت الثورة كل السكان تقريباً، وأدت إلى ارتداد عدد من الزعماء الليبيين، كانوا موالين أو على الأقل غير معادين، ما أدى، بالنسبة للإيطاليين، إلى تدمير مقرات وطرد كثيرين من الأراضي، وانسحابات أو انهيارات خطرة. هذه النتيجة الكارثية تمثلت في الخسائر الناتجة عن معارك وادي مرسيط (Wadi Marsit) في 6 و7 أبريل 1915م، وفي قصر بوهادي (القرضابية) في 29 أبريل 1915م. وقد انتهت الحملة التي قامت بها الشرطة الاستعمارية، والتي خطط لها لتفريق قوات المقاومين، بخسارة فادحة. في هذه المناسبة تسبب الليبيون الذين كانوا ضمن قوات غير النظاميين العاملين

مع العقيد مياني، بعد تحالفهم مع رجال المقاومة في خسائر فادحة في صفوف قوات الحملة الإيطالية. وقد أدى اندلاع الثورة التي نشبت في أعقاب حركات العناصر المنشقة عن القوات الإيطالية في القرضابية، التي جذبت إليها عناصر أخرى، إلى دفع مجلس الوزراء في 3 مايو إلى إعلان حالة الحرب في ليبيا، مظهرين نوعاً من الحزم لمعاقبة المتمردين. ولكن التمرد كان قد أخذ بعداً كبيراً، وامتد إلى مناطق أخرى. كما أن مظاهر الفشل العسكري الإيطالي أصبحت تقريباً ثابتاً من الثوابت، مع تعدد الخسائر الفادحة كما حدث في ترهونة في 18 يونيو.

وكما حدث في شارع الشط سنة 1911م تواصلت هذه المرة أحكام الإعدام، والمجازر والاعتقالات والنفي. وبسبب الرقابة الشديدة كانت المعلومات التي تمررها الصحافة في إيطاليا عن الهزيمة، وعن خطورة الثورة، وعن القمع الذي تتم ممارسته، ثم عن النفي؛ شحيحة. ففي أوستيكا تم تأجير 13 بيتاً لإيواء الليبيين، إضافة إلى ما كان متوفراً من غرف أو زنازين: تم إسكان 250 منهم في مصنع المكرونة المهجور، وتم إيواء عشرات آخرين في بقايا القلعة. وتم توفير 4 بيوت مختارة بعناية بين أفضل البيوت المتاحة في الجزيرة للأعيان الثلاثين وحاشيتهم: بيت شيرينو بالقرب من جورجو كاييسا وبيت القسيس بيرتوتشي وبيت باراكو في منطقة البيوت القديمة.

وقد أحدثت أخبار وصول هذه الدفعة الجديدة من الليبيين مزيدا من المخاوف لدى سكان الجزيرة الذين يذكرون ما حدث سنة 1911 و1912م. وعلى الرغم من علمهم أن الليبيين القادمين لا يخشى من ورائهم أي شر، كما يبدو ظاهرياً، إلا أن عميد البلدية فرانشيسكو بونورا، أبدى للمحافظ تحفظاً مستعجلاً ومخاوف، تشوبها بعض السمات العنصرية، معبراً عن المخاطرة المحتملة بأن تكون بين المنفيين أوبئة خطرة. وقد قدم عميد البلدية طلباً محدداً ومفصلاً ببعض الإجراءات الوقائية الصحية، وبما يلزم أيضاً

لتهيئة الجزيرة لاستقبال القادمين الجدد. وقد كان وضع مذكرة بمناسبة عملية النفي التي تمت في 1911 و1912م، وكان حينها عضوا في المعارضة، تدين تدهور الأوضاع الصحية في المستعمرة.

وقد تم قبول مطالب العميد: خصص مبنيان لأعمال التمريض وثلاثة أخرى للمصابين بالسل، وأمراض العيون، والجرب، والأمراض الجلدية، كما تم تجهيز مركز عزل للمصابين بالجذام. وقد تم إسكان الليبيين قدر الإمكان في بيوت تقع في الضواحي، وتم تعيين مسؤول عن الخدمة الصحية يعاونه ممرضون.

وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات بلغ عدد الوفيات في 30 أغسطس 1916م، 141 ومن المنطقي القول بأن هذه الوفيات كانت نتيجة نقص في العناية الصحية لا تختلف عن تلك التي وقعت بين المنفيين في 1911م. ولكن لم تحدث وفاة بسبب الكوليرا، التي كانت السبب الرئيس في وفيات 1911–1912م، وكانت الأمراض الغالبة تلك المتعلقة بالجهاز التنفسي، وبالتحديد مرض السل، إضافة إلى التراكوما والأمراض الجلدية، وأمراض الجهاز الهضمي، والتيفود، ولكن كانت الوفاة تحدث أيضاً بسبب، الإغماء والالتهاب الرئوي. وهذا يفسر لماذا لم تكن الأمراض وبائية معدية، ولكنها موزعة على امتداد مدة الإقامة، لم يحدث إلا في حالة واحدة وفاة أكثر من اثنين من المعتقلين في يوم واحد: 4 يناير 1914م.

وبخلاف ما حدث في 1911م نشأت بين المنفيين والسكان المحليين علاقات طيبة، سواء من حيث تبادل الزيارات أو من حيث التعاون. ولأن المبعدين إلى الجزيرة لم يكن لديهم استعداد لإفساح المجال لليبيين القادمين، طلب عميد البلدية، بعد يومين فقط من نزولهم إلى الجزيرة، من محافظة باليرمو، الإذن، الذي حصل عليه بالفعل، لتشغيلهم

في بعض الأعمال الزراعية، بمكافأة يومية قدرها ليرة واحدة ووجبات غذائية. أدى ذلك إلى تشغيل 120 فرداً في مارس و141 في يونيو 1916م في الحقول، وآخرين في مجالات مختلفة: خدم منازل، حمالين، كناسين، حلاقين، ممرضين، مطهرين، سقايين ومساعدي صيادين. وقد بلغ الأمر حد خلق دائرة اقتصادية معقولة، تتكون من العاملين في مجال تشغيل المنفيين في أعمال، وما نجم عن ذلك من تغذية التجارة الداخلية، حتى من خلال المساعدات المالية التي كانت تأتيهم من أهاليهم في ليبيا.

وقد لقيت التجربة التي نفذت في أوستيكا نجاحاً، حيث وصلت من عدة جزر أخرى طلبات للسماح لهم باستخدام اليد العاملة الليبية. وقد لقي الاقتصاد المحلي دفعة أخرى من خلال تأجير المنازل، سواء لخدمة المستعمرة أو لتلبية حاجات المنفيين. وقد كانت الإيجارات مهمة جداً، وخاصة لأولئك الذين كانوا يؤجرون للأعيان الليبيين.

وقد امتدت الخطوات ذات الطابع الاقتصادي التي تم تفعيلها في أوستيكا حتى على صعيد العلاقات الاجتماعية، واتسمت بنوع من الود والألفة، كما أكدتها الشهادات الشفهية والصور الفوتوغرافية. وكان عدم وجود حالات وبائية لأمراض خطيرة بين المنفيين، كما كان الأمر في الماضي، ذا أثر حاسم: فقد تم تجاوز المخاوف القديمة والأحكام المسبقة، وبدا كما لو أن تجربة سنة 1911م قد تم محوها من الذاكرة الجمعية. وعموماً فعلى الرغم من عدم وجود أوبئة مميتة، حتى بين الليبيين في حملة النفي الجديدة، فإن عدد الوفيات ظل مرتفعاً. وبالطبع حتى هذه المرة لم تكن البنية اللوجستية والصحية وتلك المتعلقة بالنظافة قادرة على توفير ظروف معيشة ملائمة.

وعموماً كانت تتضح في الإدارات الحكومية القناعة بأن حالة حصر الإقامة على المواطنين كان بمثابة نفي حقيقي، لم تحسب حسابه الإجراءات ولم يكن قانونياً، ويقال

إنه قد دفعت إليه الضرورات، وأن "دوافع إنسانية كانت لا تنصح بمواصلة سياسة النفي إلى إيطاليا". وبين 20 و24 مارس 1916م، 625 ليبياً غادروا الجزيرة على متن السفينة روما، وفي معظم الحالات كان ذلك بهدف مبادلتهم بأسرى إيطاليين، في حين كان البعض نتيجة لعملية عفو. وكانت حالة الشيخ عزابي عبد الله نعامة، الذي أعيد إلى وطنه في مارس 1916، بناء على طلب حاكم بنغازي إميليو، للقيام بمهمة سرية في الجبل، بهدف الدعاية السياسية لصالح إيطاليا ... وذلك لأنه "شخصية ذات تأثير".

وقد بقي منهم في الجزيرة 80 فرداً، كلهم من بنغازي، ومعظمهم كانوا من الأعيان. وقد استمرت عمليات الوصول والمغادرة خلال السنوات اللاحقة حتى سنة 1934م. وفي جميع الأحوال كان الأمر يتعلق بسياسيين وأعيان، بعضهم كانوا في غاية الأهمية. وقد خصصت لهم معاملة خاصة، وسوف تخصص لهم مكافأة مالية، سوف تصبح سنة 1917م مائة وخمسين ليرة في الشهر، وستكون لبعضهم أكثر من ذلك بكثير.

مايو 1915م: وقد رأى حاكم طرابلس أن من الضروري تسفير 600 عنصر من عصابات سرت الذين أرسلهم مياني عقب هزيمتهم في قصر بوهادي. وقد تداولت وزارة الداخلية ووزارة المستعمرات الرأي حول الوجهة التي يوجه إليها هؤلاء المنفيون. لقد تم استبعاد فكرة توظيفهم في أعمال في أريتريا، "لأن من يتمكن منهم من الفرار سوف يتجهون للانضمام إلى القبائل المسلمة القريبة ويخلقون فيها الفوضى..."، وقدر أنه من غير الملائم أيضاً توجيههم إلى طبرق لما يستغرقه ذلك من وقت حتى إعداد الأماكن المناسبة لاستقبالهم. كما استبعدت أيضاً فكرة استيعابهم في مختلف مراكز محافظة باليرمو لتوظيفهم في العمل في الحقول، فقد كانت القناعة إن من الخطورة بمكان أن تصبح المستعمرة ساحة لجعل المنفيين عبيداً للعمل في الأرض في إيطاليا". وقد وصلت برقية من محافظ باليرمو إلى وزارة الداخلية في 6 يونيو التالي تضمنت اقتراحاً بالحل:

"في أوستيكا يوجد بيوت يمكن تأجيرها كانت مهيأة في 1912م لإيواء المبعدين الليبيين ويمكنها استيعاب 900 فرد".

وقد تم تحديد الحالة القانونية للمنفيين عبر مراسلات مكثفة تمت بين وزارة المستعمرات ووزارة الداخلية، منذ 1913م، خلصت إلى التمييز بين مجموعتين:

1) أولئك المبعدين بناء على إجراءات إدارية، أي الذين قدر أنه من أجل استتباب السلام في المستعمرة يحسن إبعادهم، لأنهم مشاغبون ومشكوك في ولائهم السياسي.

2) أولئك الذين تم القبض عليهم وهم يحملون السلاح خلال العمليات العسكرية التي تمت بهدف الاحتلال، وهؤلاء يعتبرون، وفق أحكام المحاكم العسكرية في المستعمرة متمردين. وفي مراسلة أخرى بتاريخ 1914م رأى حاكم برقة أن التقاليد السائدة في إيطاليا، والتي يخشاها الليبيون أكثر من غيرها، هي سياسة "إبعاد الأشخاص الذين لهم تأثير ضار بمصالحنا". وقد تبنت المراسيم التي أصدرها حاكما طرابلس وبرقة، ووضعت فيها ترتيبات الأماكن المستهدفة باستقبال المبعدين، مصطلح الرهائن، الذي اعتبر أكثر ملاءمة للتمهيد لعمليات تبادل قد تتم بين رهائن وسجناء يقعون في الأسر خلال العمليات الحربية، دون الاصطدام بمشاعر السكان الليبيين. ولم يكن من شأن الجدل حول الصفة القانونية في هذه الحالة أن يصطدم بالتقاليد المتبعة في إيطاليا، وهكذا سجل في سنة 1913م حضور منفيين إلى سيراكوزا.

في 15 يونيو 1915م وصل من طرابلس على متن السفينة (الملك أمبيرتو) 778 منفياً: 730 منهم كانوا من بين جماعات سرت المنشقة: 22 كانوا معارضين، حكم عليهم بالإبعاد إلى الحدود، و26 سُمّوا معتقلين سياسيين في سجون المدينة. وقد تبين من خاتمة مرسوم حاكم طرابلس بتاريخ 12 يونيو 1915م، أن 250 منهم كانوا من

زليتن، و199 من ترهونة، و102 من مسلاته، و53 من مصراته. وقد تعجل المحافظ للإخبار بأنه لم تتم ملاحظة أي أمراض وبائية، وتحدث فقط عن 6 مصابين بأمراض عادية، و12 من جرحي المعارك في سرت. وقد تم النزول بدون أي مشاكل. وقد كان المنفيون الذين كان هناك إصرار على اعتبارهم "رهائن" في كل الوثائق، في معظمهم مجرد فلاحين، تتراوح أعمارهم بين 15 و75 سنة، وتم إيواؤهم في أماكن في ضواحي المدينة. وكان مع هؤلاء 30 من الأعيان الذين هيئت لهم إقامة مناسبة في بيوت لائقة.

وخلال بضعة أشهر سوف يزيد عدد المنفيين. حيث وصل ما مجموعه 1360 بين مقاتلين ومعارضين سياسيين، أضيفوا إلى 250 من ضحايا الإبعاد القسري، الذين كانوا موجودين أصلاً في الجزيرة: وعدد آخر من المواطنين المقيمين.

وعند علمه بوصول الليبيين طلب عميد البلدية ضمانات تتعلق بالصحة العامة، مثل توفير مساكن خارج المركز السكني، تخصيص مركز للعزل الصحي، إعادة العمل بأربع رحلات في الأسبوع (كان العدد قد قلص إلى رحلتين بسبب ظروف الحرب) لزيادة إمدادات المياه، تطوير أجهزة الحماية الصحية وتوفير عاملين في هذا المجال. تمت الاستجابة لطلبات العميد، وتم توفير قوة حراسة فاعلة.

تم إيواء الليبيين في عدة أماكن جهزت خاصة لهم بتأجيرها من ملاكها: مصنع المكرونة المهجور استضاف منهم 250، وآخرون تم تسكينهم في القلعة وفي صخرة فالكونييرا، وفي جملة مساكن في المدينة القديمة والميناء. وكان كل ليبي مزوداً بعباءة، قدم بها من ليبيا، يفرشها على الأرض في الليل، وجملة من الملابس (لباس المبعدين أو ملابس أوروبية، إضافة إلى عباءات تحضر من ليبيا). كانت الغرف مزودة بأسياخ من الحديد على الشبابيك، وأبواب من الحديد على الأبواب، وكان يعتمد في الإضاءة

الليلية على مصابيح تستخدم الكيروسين، وكانت المياه تأتي في براميل، ودورات المياه تنظف وتطهر يوميا. وكان الغذاء يتكون من 750 جراماً من الخبز و250 جراماً من الشربة للوجبة في الغداء والعشاء يومياً. وفي يوم الجمعة الذي كان بالنسبة لهم يوم عطلة كان يوزع 250 جراماً من لحم الغنم، أو المعز أو البقر من أفضل الأنواع. وكان يوفر أكل خاص، ووجبات إضافية غير عادية، بمناسبة رمضان والعيد الكبير. وكان الطباخون والجزارون من بين أولئك الليبيين، تختارهم الإدارة من أكثرهم كفاءة ومهارة في هذا المجال.

وكانت المستعمرة مزودة بمغسلة للملابس، وبآلة للتطهير لتطهير الملابس والأغطية أسبوعيا.

بيت سيرينو بالقرب من "جورجو كاييتسا"، أحد المنازل المخصصة للأعيان من الليبيين.

وكان الأعيان الثلاثون يحظون بمعاملة خاصة هم وأتباعهم من الخدم. وقد خص مدير المستعمرة جوزيبي جاروفالو الأعيان بمعاملة مميزة، فاستأجر لهم منازل من أفضل المنازل المتاحة في الجزيرة. وكانت معاملة الأعيان مختلفة أيضاً من حيث الغذاء المخصص لهم، فكان هذا يعد من قبل خدم الأعيان وأتباعهم، كما أنهم كانوا يحصلون على منحة شهرية قدرها 150 ليرة، كانت أحياناً تمنح أيضاً للخدم، ولكنهم كان يمكنهم أن يصرفوا أكثر من ذلك، لما كان يسمح به لهم من الحصول على حوالات من ليبيا، كما كان يسمح لهم بالتجول بحرية في كل أنحاء الجزيرة، بينما كان يفرض على العرب الآخرين الحصول على إذن من إدارة المستعمرة. وقد كانوا أيضاً يتمتعون بميزة أخرى هي عدم إغلاق البيوت عليهم أثناء الليل، بينما كان ذلك يحدث للآخرين. وكذلك الحراسة التي كانت تنفذ بحزم شديد من قبل أطقم الحراسة الموجودة بالقرب من الزنازين. هذه الحراسة بالنسبة للأعيان كانت غير معلنة. ولكن بقيت شديدة الرقابة على المراسلات. وكان الهدف من هذه المزايا تحقيق مصلحة سياسية في اتجاه إحلال السلام في الأراضي الليبية.

من خلال ملخص محتويات الرسائل المرسلة من المعتقلين في أوستيكا أو وصلت إلى أوستيكا منذ أغسطس 1915م، يمكن الحصول على معلومات حول المساعدات المرسلة من ليبيا، سواء المال أو الملابس، حول المعاملة الحسنة التي يحصلون عليها في الجزيرة وحول الأمل في حلول السلام قريباً. ومن خلال رسالة بتاريخ 8 سبتمبر نعلم أنه عند ذلك التاريخ كان يوجد على الجزيرة 1315 ليبياً. ومن عدة رسائل أخرى، كلها بتاريخ 5 ديسمبر 1915م، خضعت بالطبع للرقابة من إدارة المستعمرة، نعلم أن مرسليها كانوا يأملون في حدوث السلام، الذي يربطون تحققه بموت بطل المقاومة عبد الله بن فضيل.

ومن خلال بعض الرسائل المرسلة من أوستيكا، وخضعت للرقابة في ليبيا، اشتكى الحاكم أميليو في فبراير 1916م من أنها لا تحقق الهدف الذي وجدت من أجله، أي الضغط على أقاربهم ومعارفهم كي يتجهوا إلى رؤسائهم للتفاوض مع الإيطاليين حول إطلاق سراحهم. من جهة أخرى سوف يحققون هدفاً آخر مقابلاً هو إعفاء الرؤساء من الانشغال بهذه المسألة بإعلان أن إطلاق سراح المنفيين كان أمراً وعدت به سابقاً إدارة المستعمرة العقابية، وأنه سوف ينفذ قريبا. وكان رأي الحاكم "أن تحرير المنفيين العرب لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الزعماء في طرابلس".

محافظ باليرمو يخبر وزارة الداخلية باقتراح عميد البلدية بالسماح، ولو على سبيل التجربة، بتوظيف الذين وصلوا حديثاً على متن السفينة الملك أمبرتو في الأعمال الفلاحية. المقترح يتحدث عن مكافأة مالية يومية مقدارها ليرة واحدة إضافة إلى الطعام، مع تكفل المواطنين بأتعاب الحراسة وإيصال العامل يومياً إلى مكان الإقامة. وعلى الرغم من التحفظات من جهة إجراءات الأمن والنظافة، وبناء على عدم ممانعة المحافظ الذي أكد على شروط الرقابة المتبعة في المستعمرة، تم الحصول على موافقة المحافظ.

وبعد نجاح التجربة تم تعميمها على بقية الجزر. وفي أوستيكا تم في مارس 1916م تشغيل 120 ليبيا، وفي يونيو 141: تم تشغيل عدد مماثل حسب الإمكانات المتاحة في الجزيرة، بناء على ما أقر به مدير المستعمرة، الذي أشار إلى أنه "إضافة إلى المرضى، فإن معظمهم كانوا يفضلون البقاء في حالة كسل".

منفيون ذوو ملامح سودانية ويبدو من أزيائهم أنهم من المبعدين قسرياً، التقطت الصورة ومعهم قسيس وعسكري وشاب من أوستيكا.

كان الليبيون يشغلون في أعمال الفلاحة، ولكن أيضاً كخدم منازل، وحمالين، وكناسين، وحلاقين وممرضين، وسقايين وصيادين وخبراء في المطبخ العربي.

صورة مستفزة لخادم ليبي مع المصور الأوستيكي جوزيبي باراكو: السيد الأبيض جالس بملابسه الأنيقة يسكب النبيذ للخادم الملون الواقف بجواره.

Foto di notabili usticesi e libici.

صورة لأعيان أوستيكيين وليبيين.

أوستيكا 1916م. منفيون ليبيون عديدون يلبسون المعرقة التقليدية (وهي غطاء للرأس أبيض اللون يلبسه العرب الذكور) يقفون في ساحة المدينة مع الطبيب المرافق، والمدير ومساعد عميد البلدية، وسكرتير البلدية، وعدد من العساكر والسلطات العسكرية بالزي الرسمي مع عدد من السيدات، ومجموعة كبيرة من الشبان الأوستيكيين. على يسار الصورة الرجل الذي يلبس قبعة وسلسلة على الصديري هو مدير المستعمرة جوزيبي جاروفالو، الذي تميز باعتداله ومبادراته لصالح الليبيين. في وسط الصورة ليبي يلبس القبعة المميزة في شكل قلنسوة ولها زائدة كانت تستعمل لدى القوات الاستعمارية الليبية: ربما يكون جندياً من جنود عصابات سرت.

Foto di notabili usticesi e libici.

صورة تجمع أعياناً أوستيكيين وليبيين.

هذه الصورة من سنة 1916م تعرض مجموعة من المسؤولين المدنيين والعسكريين في أوستيكا وأعيان من ليبيا أمام أحد البيوت التي يسكنها هؤلاء، ما يدل على تبادل الزيارات بينهم ودفء العلاقات بين الطرفين. يحتمل أن أحد الأعيان الموجودين في الصورة هو الملازم السابق في سلاح الفرسان التركي محمد أحمد تنتوش، وقد نفي إلى أوستيكا في 1915م.

الليبيون يلبسون "الطاقية"، وهي غطاء الرأس المميز للشخصيات الرفيعة في السلم الاجتماعي.

نماذج من صور الحياة في المستعمرة

وليمة لدى الليبيين للاحتفال باحتلال مصراته

على الرغم من أن الأعيان يغلب على تصرفاتهم الطابع المصراتي، لم يتخلوا عن أسلوبهم كمعارضين. في هذا السياق تأخذ المعنى القصة التي يذكرها مدير المستعمرة: للاحتفال بالنصر في إحدى المعارك التي انتصر فيها المتمردون في الوطن، اشترك الأعيان مع معتقلين آخرين وليمة استهلكوا فيها، ضمن أشياء أخرى، خروفين نحرت لهذا الغرض.

بعض التعليمات الواردة من الوزارة العليا

ورد في تقرير بتاريخ 13 مارس من مدير مستعمرة أوستيكا ما يلي: "بناء على التعليمات المستلمة من الوزارة العليا، تمت دعوة الأعيان الآتية أسماؤهم: بوبكر الأدغم، محمد بن محمد الأدغم، محمد بن الحاج علي الأدغم، محمد بن الحاج أدغم بن الحاج علي، للكتابة إلى أهلهم ومعارفهم في الداخل لدعوتهم لتسهيل عملية تبادل بينهم، على الرغم من أن لهم أبناء وإخوة بين المتمردين، وكانت إجابتهم أنهم لا يستطيعون فعل أي شيء، وأنهم لا يعرفون أحداً من المذكورين". ولعل هذا كان تأكيداً إلى أن المخاوف التي عبر عنها الحاكم أميليو حول عدم جدوى، بل مضار، هذه الاستراتيجية كانت صحيحة.

إنكار العلاقة مع المقاومة

في 4 فبراير 1916م كتب من أوستيكا عمر المسوعي المختار الشكشوكي إلى محمود درنة: "في هذه الأيام أمرنا بأن نكتب إلى الأعيان العرب في الداخل للقيام بعمل من أجل إعادة المساجين الإيطاليين، وبذلك سنمنح نحن أيضاً حريتنا. ولهذا فنحن نكتب

إلى معالي الحاكم نشرح سلوكنا ونبين أننا ليس لنا أي علاقة بعرب الداخل. ونرجو ألا يتم تجاهلنا ونحرص على شرح سلوكنا المبني على عدم التدخل في أمور لا تخصنا. فحاولوا فعل الممكن لدى السلطات، من جهة أن الهدف المطلوب إنجازه يعتمد الآن على أعيان البلاد". هذه الرسالة التي التقطها حاكم طرابلس، لم تصل إلى المرسل إليه.

اثنان من العلماء معزولان في الجزيرة

في أكتوبر 1915م اثنان من العلماء (علماء إسلاميون) من المبعدين إلى أوستيكا تم عزلهم لتجنب أن يقوما بتحريض المبعدين الآخرين.

تطلع إلى الحرية: فرار أو انتحار

حمد رمضان، ذو العشرين عاماً، وجد في 31 يناير 1916م غريقا في البحر. وقد جاء في الصياغة الرسمية، غير الموثوق في مصداقيتها، لتقرير محافظ باليرمو أن العربي تخلص من الرقابة الشديدة على الشاطئ لا من أجل الفرار، ولكن "للقيام بطقس ديني".

طقوس الدفن

كان الموتى يدفنون وفق الطريقة الإسلامية: حيث كان الجثمان يغسل بماء ساخن لتطهيره، ثم يلف أكثر من مرة في كفن، ثم يحمله، تحت مراقبة الحرس، أصدقاؤه وأقاربه إلى المقبرة. وهناك، بعد قراءة آيات من القرآن توضع الجثة، وهي ملفوفة في الكفن، في القبر.

وفق مشاعر إنسانية حاولت دائماً ولسة المعاملة المثلى لهؤلاء المسلمين الأسرى، متحيزاً لمصلحتهم في كل ما كان بوسعي فعله، مجسداً احترام تقاليدهم.

جوزيبي كاروفالو

مدير مستعمرة أوستيكا

النفي في العهد الفاشي

لقد استمر وجود الليبيين في المستعمرة العقابية في أوستيكا بعد النفي الجماعي في سنة 1915م، بعد استمرار المقاومة العنيدة من قبل قبائل الداخل، الذين وجدوا أنفسهم مهددين في نظام عيشهم القائم على الزراعة والرعي بسبب الاحتلال الإيطالي. وفي البداية اقتصر احتلال ليبيا على المدن الساحلية والواحات القريبة من الساحل. وعند فشل سياسة الاحتواء، التي اعتمدت على فكرة منح الحقوق المدنية سنة 1919م، التي تبنت الاعتراف بجملة من الحقوق لليبيين، لم يتم في الحقيقة تطبيقها، انطلقت سياسة "إعادة احتلال المستعمرة عسكرياً، حيث نفذت سياسة هجومية، بين سنتي 1922 و1925م، كان أبطالها حاكم طرابلس جوزيبي فولبي والعقيد رودولفو غراتسياني. وأدت الحملة القمعية العنيفة التي نفذها غراتسياني إلى عودة عمليات النفي التي كانت تغذي وصول الليبيين إلى أوستيكا، حيث سيبقون حتى سنة 1934م.

تم الإعلان عن نهاية المقاومة المضادة للاحتلال في سنة 1932م عندما نجح غراتسياني الذي أصبح حاكم برقة من 1930 حتى 1934م في القبض على عمر المختار زعيم المقاومة الليبية ثم إعدامه (1931م).

بين المنفيين كان هناك متمردون، ومعارضون سياسيون، وزعماء دينيون، وأعيان كانت توجهت إليهم تهم بوجود علاقات تعاون سرية مع المقاومة الداخلية. من بين هؤلاء شخصيات رفيعة المستوى يتبعهم زوجاتهم وخدمهم. ومن ثم فلا يثير التعجب حدوث ولادات في الجزيرة، كما يظهر في وثائق السجل المدني.

في يناير 1916م تم تحويل 9 من الأعيان حكم عليهم بالإبعاد لمدد غير محددة. بعد قليل من هذا التاريخ سوف يلحق 124. وفي 1917م تم إبعاد راسم بي كعبار،

أحد الأعيان الذي كان يعد متعاوناً، ثم تبين أنه خائن. راسم، الأخ الأصغر لثلاثة إخوة، التحق هو وخدمه بحاكم طرابلس، ولكنه انتقل بعد ذلك إلى صف المتمردين. كان الإخوة الثلاثة من عائلة كعبار، إحدى أهم وأرفع العائلات في غريان. منع راسم من رئاسة تلك المنطقة، ثم نفي. وفي أوستيكا بقي حتى نهاية 1918م، عندما أطلق سراحه بتدخل الوزير كولوزيمو. منفي آخر ذو مكانة رفيعة سيكون سنة 1924م أحد رجال المقاومة صالح علي تنتوش، الذي كان أحد قادة سلاح الفرسان، ثم حكم عليه بالإعدام وشنق في الوطن سنة 1925م.

بمجيء الفاشية اتخذت السياسة الاستعمارية الإيطالية، بالمقارنة بالسياسة السابقة، سياسة الدولة الليبرالية، وجهاً ذا خلفية إيديولوجية، بانحيازها على نحو جلي إلى مفاهيم القومية والعنصرية، وعقلية الطلينة التي اتسم بها جوليتي، حيث أصبحت إيطاليا قوة عظمى، من القوى الاستعمارية البشرية المسيطرة في المنطقة.

أحد التطورات الجديدة ذات المعنى في هذه الفترة تمثل في انقطاع التواصل مع إدريس, السنوسي الكبير وأمير برقة، عندما قبل في نهاية سنة 1922م تسميته أيضاً أميراً لطرابلس، استجابة للطلبات التي وصلت إليه من جهات كثيرة في العالم العربي، الذي كان يرى فيه ذلك الزعيم القادر على مواجهة الاحتلال الإيطالي.

بعد القطيعة مع إيطاليا كان على إدريس في يناير 1923م أن يلجأ إلى مصر، تاركاً لشقيقه زعامة الحركة السنوسية ومخولاً عمر المختار قيادة حركة المقاومة. وهكذا بدأت الحرب الإيطالية السنوسية الثانية (ديل بوكا)، عبر أعمال مقاومة قوية من قبل المتمردين. وهكذا سوف تستمر على نحو أكثر عنفاً المواجهة مع المتمردين. وفي الوقت

ذاته تستمر سياسة القمع وحشد جماعات كاملة من السكان في المعتقلات في الداخل، وسياسة النفي إلى إيطاليا.

في تلك السنوات اختيرت أوستيكا، لما توفره من ضمانات من الناحية الأمنية، لكي تكون الوجهة التي يوجه إليها المنفيون من الأعيان، وللشخصيات ذات الوجاهة من أتباع السنوسية.

وابتداء من سنة 1926م، في أعقاب صدور القوانين الفاشستية الخاصة، أضيف إلى المنفيين الليبيين، الإيطاليون المعارضون للفاشية، الذين حكم عليهم النظام بالإبعاد والإقامة الجبرية في مناطق نائية. كانت هناك أسماء عديدة لشخصيات من المشاهير البارزين، إلى جانب كثيرين غير معروفين في سجلات الأخبار السياسية أو الثقافية.

وكما تشهد بذلك العديد من الصور الفوتوغرافية وشهادات شهود عيان لسياسيين وذويهم، بعضها تم نشره، وبعضها ما يزال غير منشور، أن علاقات متبادلة وأيضاً علاقات تعاضد إنساني. في رسالة موجهة إلى (تانيا) بتاريخ 1927م نقرأ أن قرامشي قد سمع "قصة عجيبة من ليبي أبعد إلى تلك المنطقة". وفي رسالة أخرى أرسلت إليه من أوستيكا من أحد رفاقه في الإقامة الجبرية أن الشابة (برونا) ابنة فابريتسيو فابي، الذي كان من بين المبعدين في الجزيرة، كانت تأخذ دروساً في اللغة العربية على يد أحد المنفيين. وفي 1927م نظم سيلفيو كامبانيلي أبيات شعر حزينة وتعبر عن مشاعر التضامن حول ليبيي أوستيكا. ومن التحقيق الذي أجرته المحكمة الخاصة مع ألفريدو توتشي حول التهمة الموجهة إليه بمحاولة التمرد ضد سلطات الدولة (1927م) نعلم أن عائلة بورديجا ومبعدين آخرين "كانوا عائدين من زيارة قاموا بها للعرب". وفي مذكراته بعنوان (جزري) يعبر جوزيبي سكالاريني مشاعر التضامن الإنساني والسياسي مع

الليبيين، وهي المذكرات التي اشتهرت بأنها رسوم هجائية حول الحرب في ليبيا، نشرت في صحيفة (أفانتي). وفي مذكراتها (في ذكرى ماريو) تذكر جاييلي فرانكيني زوجة ماريو أنجيلوني العديد من صور الصداقة وتبادل الزيارات بين الليبيين والمبعدين السياسيين. وفي عرض هزلي ساخر لحقيقة الإبعاد إلى أوستيكا، في مقالة بعنوان (في الإبعاد القسري) طبعت بعد وفاة أم الكاتب في صحيفة (الجسر) سنة 1946م يتحدث عن (عربي ذكي)، كان قد تلقى دعوة للمشاركة في نقاش ذي طبيعة دينية بين عدد من المبعدين سياسياً، ينتمون إلى عقائد مختلفة. وفي تقرير سري جداً من المحافظ إلى وزارة الداخلية، سنة 1927م، يعطينا تأكيداً آخر للتواصل بين الليبيين والمبعدين، مشيراً إلى طبيعة هذه العلاقات الفكرية.

شهادات شفهية ووثائق في صور فوتوغرافية تفتح آفاقاً مثيرة لتعميق البحث حول العلاقات بين الليبيين والسكان المحليين في هذه المرحلة من عمليات النفي. ولعله قد اتضح حجم المساهمة المهمة للاقتصاد المحلي، المتصلة بحجم الرصيد المالي لدى الأعيان، الذين كان عدد منهم يتلقون مرتبات شهرية كبيرة من الحكومة الإيطالية. هذه الثروات كانت دوافع مهمة للتجار، الذين اتجهوا لتحديث أنواع البضائع، التي يعرضونها للبيع.

كما أدت عادات الأعيان لاتباع عادة تقديم الشاي بعد الظهر لاستقبال الأوستيكيين وحسن استقبال أطفال الجيران، إلى توثيق علاقات الألفة والصداقة، حتى أن شبان الجزيرة، الذين كانوا يرسلون إلى ليبيا لأداء الخدمة العسكرية، كانوا يستقبلون استقبالاً ودياً في بيوت المنفيين الليبيين.

ومن الأعيان المهمين في اوستيكا جدير بالتنويه السيد محمد الرضا أخو السيد إدريس زعيم الحركة السنوسية في ليبيا، وابنه حسن الرضا السنوسي، ومحمد بو زيد، مستشار الحكومة الإيطالية وعضو مكتب إدارة الحزب الموالي للفاشية الحزب الاتحادي العربي وإحدى الشخصيات الرئيسة بين المتعاونين مع الحكومة الإيطالية، وصالح المهدوي، البرلماني المشهور والعميد السابق لبلدية بنغازي وزعيم نجمة إيطاليا عمر منصور الكيخيا، مستشار الحكومة والوسيط النشط في كل الاتفاقات مع السنوسية. ومن بين هؤلاء حسن الرضا السنوسي وعمر منصور الكيخيا، اللذين حول إليهما عملية النفي، ولكنه فرض عليهما الإقامة الدائمة في إيطاليا، لأنه كان يرى أن عودتهما إلى ليبيا ستكون عامل زعزعة للاستقرار: الأول سوف يتوفى في فلورنسا سنة 1936م، أما الثاني فلن يتمكن من العودة إلى ليبيا إلا في سنة 1945م لتولي منصب رئيس الوزراء في حكومة برقة، ثم رئيس مجلس الشيوخ.

GOVERNO DELLA TRIPOLITANIA

BOLLETTINO UFFICIALE

Decreti governatoriali

Decreto di emanazione delle norme sul confino.

Direzione della Colonia dei Confinati di Polizia di Ustica

OBBLIGHI DEL CONFINATO SIG. - Scalarini Giuseppe

1.) Darsi a stabile lavoro
2.) Non allontanarsi dall'abitazione scelta senza preavviso dell'Autorità proposta alla sorveglianza.
3.) Non uscire al mattino più presto del levar del sole e rincasare non più tardi di un'ora dopo l'Avemaria.
4.) Non tenere nè portare armi proprie nè altri strumenti atti ad offendere.
5.) Non frequentare postriboli, nè osterie od altri esercizi pubblici.
6.) Tenere buona condotta e non dar luogo a sospetti.
7.) Presentarsi all'Autorità di P. S; proposta alla sorveglianza, alla domenica e ad ogni chiamata della medesima.
8.) Portare sempre addosso la presente carta di permanenza ed esibirla ad ogni richiesta degli ufficiali ed agenti di P. S.
9.) Non associarsi ai confinati per delitti comuni.
10.) Non oltrepassare i confini della Colonia senza il permesso della Direzione.

Ustica addì 24 Aprile 1927

IL DIRETTORE DELLA COLONIA

Ustica 1927. Carta di permanenza per confinati.

مرسوم إصدار معايير النفي.. أوستيكا 1927م بطاقة إقامة للمنفيين.

بطاقة إقامة للمبعدين.

وقبل تبني النظام الفاشي سنة 1926م القوانين الخاصة لقمع المعارضة الداخلية، تم في ليبيا بتاريخ 18 يناير 1923م تبني المعايير "لتنظيم الإقامة في أماكن معينة يوجه إليها بعض العناصر المحددة المصنفة خطرة الذين سوف يحكم عليهم بالإبعاد أو النفي. وهكذا تم اعتماد "بطاقة الإقامة" وكذلك المساعدة التي تدفع للمبعدين بقيمة ليرتين يومياً.

بالمقارنة بين بطاقة الإقامة المستخدمة للمبعدين السياسيين الإيطاليين سنة 1927م وتلك المعتمدة في طرابلس سنة 1923م يلاحظ أن لهذه الأخيرة ملحقين: "يمنع إقامة اجتماعات، سواء أكانت عامة أم خاصة، بالاشتراك مع محكوم عليهم وعناصر مشكوك في ولائهم السياسي، أو رجال قوافل أو مسافرين عابرين" و"ممنوع على الكافة التراسل كتابة دون الحصول على إذن قيادة الجيش (.RR.CC). وكانت المعاملة المالية اليومية هي ذاتها المعتمدة في إيطاليا للمبعدين العامين. ولكن سوف يتم بعد ذلك التمييز بين هؤلاء والأعيان، لصالح الأعيان.

بعد ذلك تم إدخال معايير الإبعاد في النظام البوليسي لطرابلس وبرقة بموجب المرسوم بقانون رقم 884، بتاريخ 8 مايو 1927م، المتلائم مع (.T.U. di P.S) المطبق في إيطاليا. يجب كذلك الإشارة إلى أن تحديد مكان الإبعاد في إيطاليا كان يتم بموجب المادة 187 من قانون 6 نوفمبر 1926م ساري المفعول في إيطاليا.

Forte della Falconiera, *uno degli alloggi per i deportati.* Foto di Bruno Campolo

قلعة (الفالكونييرا) لأحد مساكن المبعدين تصوير برونو كامبولو.

عقب قطع العلاقات مع السنوسي القوي في يناير 1922م، السنوسي الكبير إدريس هاجر إلى مصر، تاركا زعامة الحركة لأخيه محمد الرضا. وعمر المختار الذي عين قائداً للمقاومة قام بعدة هجمات على القوات الإيطالية، معلناً بداية الحرب الإيطالية–السنوسية التي استمرت لمدة عشر سنوات. واعتبر اعتماد نظام الإبعاد من قبل حاكمي برقة وطرابلس رداً ضرورياً "لحمايتهما من النشاطات الخطرة التي يقوم بها بعض الأفراد، وتعد عقبات أمام إحلال السلام والهدوء في ممتلكاتنا الاستعمارية". في 23 مايو 1923م خولت وزارة المستعمرات وزارة الداخلية لاختيار مدينة إيطالية يوجه إليها المبعدون الليبيون، بالتوجيه لأن "يكون مناخها حاراً"، وأن تكون مهيأة لأن توفر لهم "نوعاً من الحرية". وفي هذه الأثناء أعطى تأكيدات بأن يكون المنفيون الليبيون "عناصر قليلة" وأنهم سوف يوزعون على المستعمرات المتوفرة.

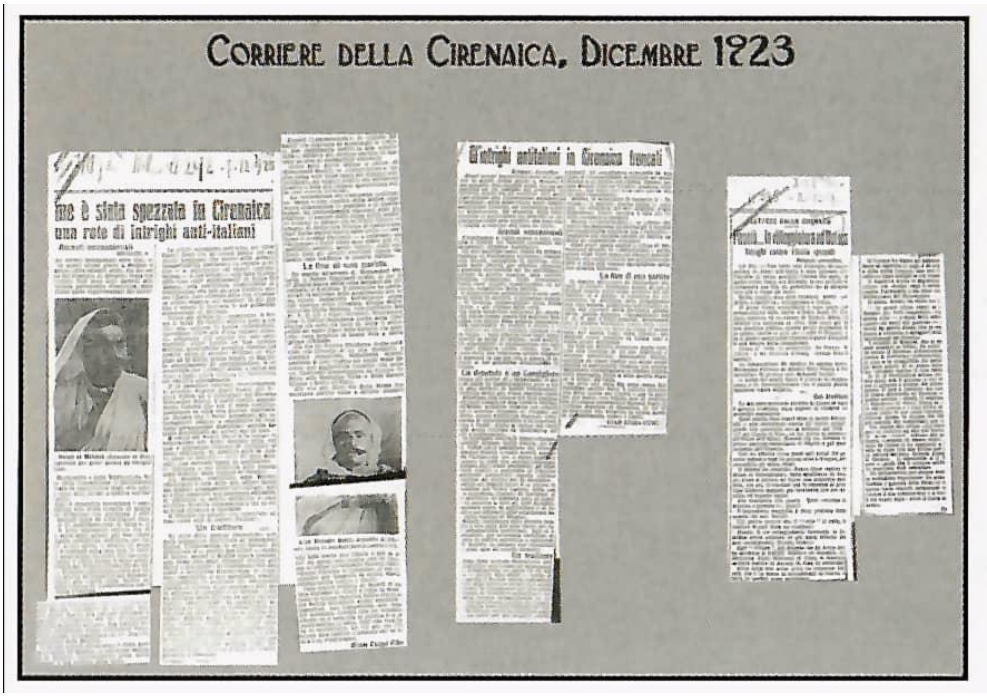

مقالات في صحيفة (بريد برقة) لسنة 1923م تحمل خبر اعتقال شخصيات ليبية وإرسالهم إلى مصائف في أوستيكا.

وتعد قصة صالح المهدوي ومحمد بوزيد ذات أهمية رمزية، فالخط الفاصل بين الموالين والمتآمرين في ليبيا كان رقيقاً جداً. متهمين بالتآمر، أرسل إلى "المصيف في أوستيكا"، من ديسمبر 1913م إلى أبريل 1927م من أهالي بنغازي صالح المهدوي (النائب المشهور وعميد بلدية سابق، وحامل نجمة إيطاليا)، محمد بن علي بوزيد (شديد الولاء لإيطاليا الممنوح وشاح الاستعمار بنجمة إيطاليا، مستشار الحكومة، عضو الحزب الموالي للفاشية "الحزب الدستوري العربي"، حسين نوري باشا كويري (ضابط سابق في الجيش العثماني)، علي بوقرين تفاح (مستشار بلدية بنغازي)، التجار يوسف لنقي والحاج عبد الله مليطان وخادمه شيباني الفراوي والفقيه محمد التونسي.

إن تنوع الأسباب التي كانت وراء حملات النفي هذه يمكن أن يكون مؤشراً، وكان هذا شائعاً جداً في الحقبة الفاشية، بين الموظفين الذين كانوا يتطلعون للترقي في مسارهم الوظيفي. ولكن ليس مستبعداً أن يكون الاتهام بالتواطؤ مع السنوسيين حقيقياً، وذلك لتوغل هذه الحركة الإسلامية ذات الأصول السنية–المالكية التي تطورت في برقة، بل امتدت حتى السنغال وبحيرة تشاد، قائمة، عبر مراكزها التعليمية (لزوايا)، بالتعليم المدرسي في مجالات التجارة والإدارة والقضاء. وسوف تواصل الشخصيات التي تم إبعادها الاحتفاظ بعلاقات مع الحكومة الإيطالية: في 31 ديسمبر 1923م أرسلوا برقية تهنئة بالعام الجديد إلى موسوليني وفي يوليو 1925م، بمناسبة "العيد الفضي الملكي"، وبرقية أخرى إلى الملك "باسم كل الليبيين المنفيين في أوستيكا".

Scuola Italo-Araba di Ustica.

Scuola Italo-Araba di Ustica.

الصورتان مكتوب تحتهما "المدرسة الإيطالية العربية في أوستيكا"، العام الدراسي 1924–1925م، تحمل كتابة من المفتش المدرسي فولفيو كونتيني، من ضمن أرشيف العائلة. هاتان الصورتان إلى جانب تقرير بتاريخ 31 يوليو 1924م من المعلم ليوني في أوستيكا، تؤكد لنا أن معظم المنفيين الليبيين في أوستيكا كانوا من الأعيان (يكفي ملاحظة أنهم يلبسون القبعة التقليدية –الطاقية)، وأن السياسة الإيطالية كانت بصدد محاولة استعادة العلاقات مع الأعيان حتى في تلك المدينة البعيدة، المخصصة للمنفيين، بإنشاء قسم خاص بهم في المدرسة الإيطالية العربية.

في 13 يونيو 1923م أعلنت وزارة المستعمرات عن قرب إرسال 80 إلى 100 ليبي إلى الجزيرة، وفي 12 يوليو التالي وافقت على تخصيص مبلغ قدره 1580 ليرة طلبتها بلدية أوستيكا لترميم قلعة الفالكونييرا، بتوسيعها "لتكون سعتها الإجمالية 100 مكان".

وفق المتوفر حالياً من بيانات لا يعرف العدد الدقيق للمنفيين الليبيين المرسلين إلى أوستيكا، ولكن بين نهاية سنة 1923م والشهور الأولى من سنة 1924م يفترض أنهم كانوا كثيرين. يكفي في هذا الصدد مراجعة طلبات العفو: في 4 مايو 1924م اثنا عشر من الأعيان المهمين، منهم صالح المهدوي ومحمد بوزيد وصالح بن تنتوش وحسين كويري، "رافعين أيديهم نحو السماء"، يطلبون العفو عما مضى، ثم في 8 يونيو، تقدم اثنا عشر آخرون بطلب العفو، ثم قدم من أوستيكا في فبراير 1925م طلب مقابلة رئيس مكتب وزارة المستعمرات، ثم طلب آخر في 14 أبريل موجه إلى موسوليني. وفي 1926م تبين أنه أرسل إلى أوستيكا 42 ليبياً من برقة. وفي 1927م كما تذكر في كتاب مذكراتها جيالي فرانكيني، زوجة المبعد السياسي ماريو انجيلوني أن عدد الليبيين الموجودين في أوستيكا كان تقريبا 200.

صورة: أنتونيو قرامشي (واقفاً وبجانبه السيدة) .. في أوستيكا

مع أول مجموعة من المبعدين السياسيين.

في نهاية 1926م أصدر النظام الفاشستي القوانين الخاصة لعزل وإنهاء كل مظاهر المعارضة السياسية الداخلية. موسوليني يحل البرلمان ويبعد معظم النواب إلى أوستيكا. وكان قرامشي السكرتير العام للحزب الشيوعي الإيطالي أحد أوائل الذين طالتهم هذه الإجراءات، ووصل إلى أوستيكا في 7 ديسمبر. سوف يليه أماديو بورديغا، ثم سلسلة من الإجراءات تحمل إلى أوستيكا 600 مبعد سياسياً، أحد أكبر تجمعات المعارضة ضد الفاشية في إيطاليا وفي ليبيا. وقد نشأت بين الليبيين والمبعدين السياسيين علاقات متبادلة من التفاهم والاحترام.

ليبيون ومبعدون سياسيون إيطاليون.

لا نعلم الآن ما إذا كانت هناك مواقف مؤكدة مشتركة، ولكن الإيطاليين والليبيين، وقد كانوا مجبرين على مواجهة المصير نفسه، عاشوا بكل تأكيد مواقف مشتركة متبادلة. هذه الصورة تسجل زيارة قام بها مبعدون سياسيون إيطاليون إلى المنفيين الليبيين.

التقطت الصورة في أحد بيوت الريف الأوستيكي كان يسكن فيه ليبيون. يؤكد ذلك أن الإيطاليين الذين أمكن التعرف عليهم في الصورة (إيجلي جوالدي، برونا مافي: ابنة فابريسيو، جويدو باسكوالي، فيورافانتي مينيكوني، ميللي تارانتولا، جينو بيبي، أوريستي تينتي) كانوا بكل تأكيد يوجدون في ذلك المكان.

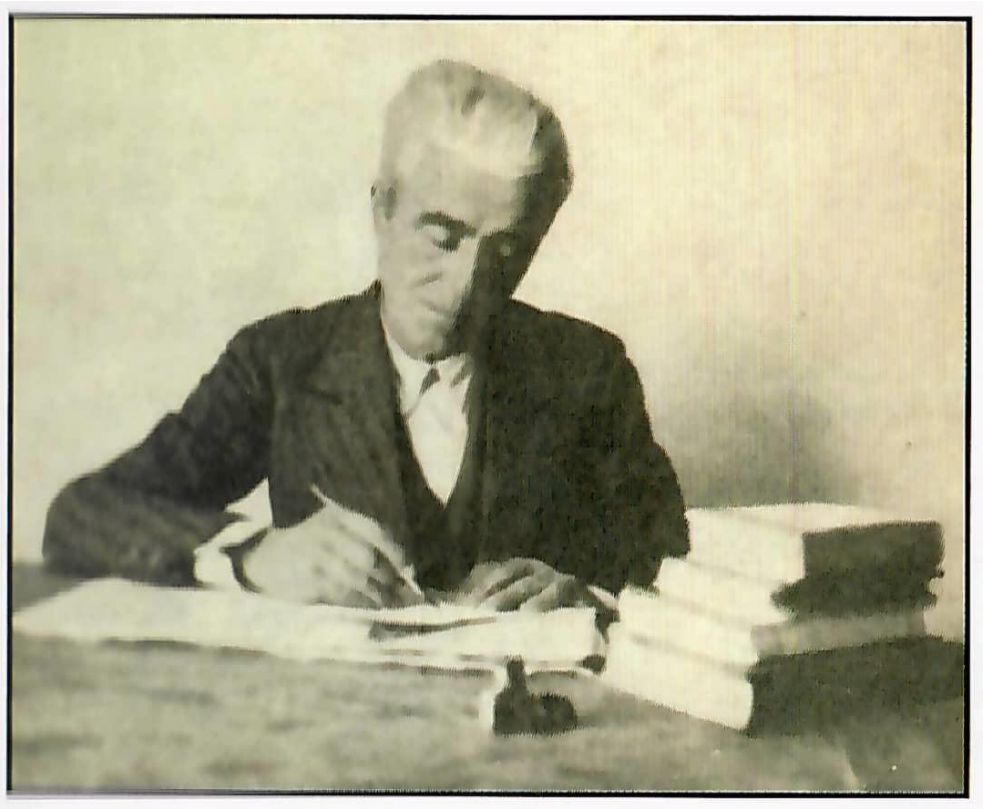

جوزيبي سكالاريني، من دعاة السلام، استخدم قلمه الملتهب ضد جميع الحروب وأشكال العنف والدكتاتورية. وقد كتب لصحيفة (أفانتي) أكثر من 3700 قصاصة وكتابة، معظمها لإدانة البشائع التي ترتكبها قوات الاحتلال في ليبيا. قدم لمحاكمات عديدة، ومتابعات بوليسية، واعتداءات واعتقال وإبعاد.

مجموعة من المجاهدين مع المبعد السياسي أندريا لينتيني في أوستيكا سنة 1928م (عامل مناجم شيوعي)، اعتقل في 4 ديسمبر 1926م وحكم عليه بالإبعاد لمدة خمس سنوات .. وجّه إلى لامبيدوزا، ثم إلى أوستيكا منذ 30 أبريل 1927م حتى نهاية 1928م ثم إلى ليباري.. أطلق سراحه سنة 1931م.

حول الأسماء

التسمية في العالم العربي تهدف إلى التعريف بالشخص بناء على علاقات القربى:

في حالة (حسن الرضا السنوسي) نستطيع التعرف عليه باعتباره ابن الرضا، ومنتم لجماعة السنوسية.

في حالات أخرى يعرف الشخص بأنه أبو... (بو) مثال: محمد بوزيد وفي حالات أخرى يعرف بأنه ابن مثال: جربوع بن عبد الجليل (والد المجاهد سعيد جربوع).

وكانت تتم اتصالات بين الليبيين والمبعدين الإيطاليين بكل تأكيد خلال الفترات التي كان هؤلاء يتجولون فيها في الجزيرة. وكان الميناء (سانتا ماريا) بالنسبة لهم مقصداً مفضلاً، من جهة أنه المكان الذي يتحرك فيه ساعي البريد، الوسيلة الوحيدة للتواصل مع العالم. في هذه الصور يمكن التعرف على جوزيبي سكالاريني ويوسف سريبرنيش، النائب في دائرة جوريسيا، وبعض الفوضويين يحملون بطاقة النيران المميزة : الـ لافالييرا.

مقتطفات من مذكرات بعض المبعدين السياسيين الذين كانوا موجودين في أوستيكا بين 1927-1929م.

"بين المنفيين كان هناك عرب ممن أفلتوا من المشنقة. مساجين من أبناء بعض القبائل المتمردة. وكان كثيرون منهم يأتون إلى مكتب البريد لإرسال برقيات تتبعها برقيات إلى حاكم المستعمرة واعدين بالإخلاص وطالبين العفو. وباختصار كان المنفى إيطاليا مختصرة، بما في ذلك ما وراء البحار.

نيللو روسيللي: في أوستيكا من صحيفة الجسر (il ponte) 1946م.

صورة ساباتينو روسيللي (المعروف باسم نيللو) ولد في روما في 29 نوفمبر 1900م، مؤرخ ذو أفكار ليبرالية وجمهورية، اعتقل في 1 يونيو 1927م، وحكم عليه بالنفي لمدة خمس سنوات بسبب "أنشطة معادة للفاشية"، دون تقديم أي أدلة. وصل إلى أوستيكا في 5 يوليو 1927م ومكث فيها حتى 31 يناير 1928م. ثم أبعد مرة أخرى في 4 نوفمبر 1929م بعد إطلاق سراحه.

جاءت واستقرت في شرفة مسكني، صحبة عائلة بورديجا، السيدة راميتي سيكوني الذين كانوا ضيوفاً عند السيدة فافالورو، الذين كانوا عائدين من زيارة للعرب، حيث بقوا هناك بضع لحظات.

ألفريدو توتشي، محضر اعترافات في 13 نوفمبر 1927م.

ألفريدو توتشي، ولد في فيتيربو 1 فبراير 1894م، محام شيوعي، من جنوا، حكم عليه بالإبعاد لمدة ثلاث سنوات. بقي في أوستيكا من 19 نوفمبر 1926م وهناك قبض عليه في 19 أكتوبر 1927م بتهمة القيام بأعمال شغب والتآمر ضد الدولة. أفرج عنه في 19 نوفمبر 1928م، وجه إلى منفى بونزا ، ثم أطلق سراحه في 18 نوفمبر 1929م.

"فوق الأنطع كان يتكدس بعض العرب، ملتحفين بجرودهم البيضاء: كانوا ليبيين منفيين لأنهم لم يكونوا يعترفون بالحضارة الإيطالية. انظر مشانق طرابلس".

جوزيبي سكالاريني، جزري، ميلانو 1992م.

جوزيبي سكالاريني، ولد في مانتوفا في 29 يونيو 1873م، رسام كاريكاتير سياسي.

في 1 ديسمبر 1926م ألقي القبض عليه وحبس في سان فيتوريو، وفي الغد أرسل إلى جزيرة لامبيدوزا منفياً لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 15 مارس 1927م وبقي فيها حتى 7 نوفمبر 1929م. في 5 يوليو 1940م، على الرغم من بلوغه 67 سنة من عمره، ألقي القبض عليه وأرسل إلى المعتقل في استونيو بوكيانيكو في كييتي. توفي في ميلانو في 30 ديسمبر 1948م.

"أنتظر بقلق (Le babouche) البدوية، يبدو لي أنهم بخير لأني كنت رأيتهم في أوستيكا خلال استقبال لدى البدو الذين كانوا منفيين هناك. بالمناسبة، هل تعلم أن أحد أولئك البدو، يدعى حسين، كان يأتي كل يوم تقريباً لزيارتي لرؤية صورة ديليو، كان قد ترك وراءه في بنغازي طفلاً، وكان يتعجب من أن صورة يمكن أن تكون معبرة على هذا النحو، معبراً عن تألمه لذلك لأن الدين الإسلامي يحرم إنتاج صورة الإنسان. قلت له إن كمال يحلل الآن التصوير، وعندئذ قال إن زوجته كانت في منتهى الغباء كي تعرف ما هي الصورة، وإلا لكانت قد رفضتها. قلت له إن كمال منع تعدد الزوجات، فانتفض متألماً، لأن كمال، على الرغم من كل شيء، كان بالنسبة له مثل البابا بالنسبة للمسلمين.

رسالة من قرامشي لتانيا بتاريخ 5 مايو 1929م.

(صورة قرامشي): أنتونيو قرامشي، ولد في أليس كالياري سنة 1891م، مفكر ومؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي، وقد أصبح سكرتيراً له، ثم نائباً في البرلمان الإيطالي. اعتقل في نوفمبر 1926م، ثم نفي إلى أوستيكا، حيث بقي فيها 44 يوماً، من 7 ديسمبر 1926م حتى 20 يناير. وأسس بالتعاون مع بورديغا وآخرين مدرسة للمنفيين ومطاعم. حكم عليه بالسجن 20 سنة، تم تحويله، على الرغم من حالته الصحية السيئة، إلى سجن توري، بالقرب من باري. تم إيواؤه في مصحة في روما، توفي في 27 أبريل 1937م.

"في أوستيكا وجدنا أيضا نيللو روسيللي وزوجته، وجوليو بوكيتي، وكارلو سيلفستري، وبورديغا، وجوزيبي بيرتي، وجوزيبي سباراليني، وأورو نوبيلي، وألفريدو اوربيناتي، وفابري وإدجاردو لامي ستارنوتو، وروميتا، وسيجفريفو شيكوتي، وماريو راتزيني، وجاكينو دولشي، وجوزيبي برونو، وشينشيو بالدازي، كما وجدنا 200 عربي في أوستيكا، من متمردي برقة. وقد أصبح كل المنفيين أصدقاء لهم وكثيراً ما كان بعضنا يذهب لتناول الشاي في بيتهم".

ماريو أنجيلوني، ولد في بيروجيا في 15 سبتمبر 1896م، محام، جمهوري. في 17 نوفمبر 1926م أودع منفياً في ليباري لمدة 5 سنوات، وبعد 3 أشهر حول إلى أوستيكا.

اعتقل في 10 أكتوبر 1927م صحبة 55 منفياً سياسياً آخرين. قدم إلى سجن اوتشياردوني في باليرمو، ثم قدم للمحكمة الخاصة للدفاع عن الدولة بتهمة لفقت في أروقة البوليس بتكوين الحزب الموحد ضد الفاشية ومحاولة القيام بانقلاب مسلح. أطلق سراحه في أغسطس 1928م، وأرسل إلى منفى بونزا. ثم أطلق سراحه وهاجر بطريقة غير شرعية إلى فرنسا (1932م) ثم هاجر إلى أسبانيا، حيث شارك في الحرب الأهلية (1936م) قائداً للفيلق الإيطالي أسكازو. جرح في معركة مونتي بيلاتو، وتوفي في مساء 28 أغسطس 1936م.

"كان بديلك في التسلي مع البدوي المسمى (حسين) السمراء برونا مافي التي كانت تتلقى دروساً في اللغة العربية. كانت متمسكة بذلك كثيراً وتستحق على ذلك التهنئة. لم نكن نذهب كثيراً إلى العرب، وكانت هناك دائماً فناجين الشاي الثلاثة، التي كانت مثيرة جداً.

شيزاري ماركوتشي، رسالة إلى قرامشي بتاريخ 16 مارس 1927م.

شيزاري ماركوتشي المولود في فاليروني في 23 سبتمبر 1906م، طالب طب، شيوعي، أبعد إلى المنفى لمدة 5 سنوات، وصل إلى أوستيكا في 15 ديسمبر 1926م، وفي الجزيرة

اشترك في السكن مع قرامشي وبورديجا. وفي أوستيكا تم اعتقاله بتهمة التآمر، ثم أطلق سراحه في 19 نوفمبر، ورحل إلى بونزا، حيث سيبقى حتى 25 نوفمبر 1929م، في نهاية المدة التي حكم عليه فيها بالنفي. هاجر بطريقة غير قانونية إلى سويسرا، وفي 30 مارس 1932م عندما دخل إلى إيطاليا خلسة ببطاقة هوية مزورة، اعتقل وحكم عليه بالسجن لمدة 12 سنة "بتهمة الدعاية المضادة"، ولأنه اعتبر قادراً على تنفيذ أعمال إرهابية. في 1 نوفمبر 1935م حُوّل إلى مصحة في بيانوزا، حيث أطلق سراحه منها سنة 1937م بعد العفو. في 6 أبريل 1939م هاجر خلسة إلى فرنسا. ويظهر اسمه في قائمة المطلوب البحث عنهم حتى 3 يوليو 1943م.

"بعض العرب يتحدثون ويقرؤون الإيطالية بطلاقة. وكانوا على تواصل مع الشيوعيين، وتأثروا بهم".

من رسالة من المحافظ موري إلى وزارة الداخلية بتاريخ 25 سبتمبر 1927م.

إلى مآسينا أضيفت مأساة أخرى، أقل خطورة، بل صارخة مقارنة بمآسينا.

لقد تم نفي عدد من الأعيان، من بينهم عميد بلدية بنغازي. تم إسكانهم في بيت أجّر لهم. لا أدري إن كانوا هم أيضاً كانوا يتوقعون (la mazzetta) . ولكني لاحظت شخصياً سواء في الإدارة أو في المتاجر التي كانوا يشترون منها مقابل بطاقات تمنحها لهم الإدارة، في أوقات محددة مواد مثل الشاي والقهوة والسكر، بينما كانوا يستلمون من الإدارة أسبوعياً القطن الأبيض الذي يستخدمونه لسراويلهم. تجدر الإشارة هنا أنه بينما كان مقرراً تزويد

المبعد السياسي بثوب مدني في السنة، انتهى الأمر إلى تزويد السياسيين نفس السترة ذات اللون الرمادي التي تمنح للمنفيين. كان لليبيين خادم وساق، من المبعدين. ثم أصبحت العنصرية هي شعار المرحلة.

أ.ميزوري، بيستيا، روما 1944م ص ص229-230.

الفريدو ميزوري، ولد في بيروجيا 17 مايو 1886م مختص في علم الحيوان، انتخب في 1923 نائباً عن الحزب الفاشي، ثم انحاز لجماعة المنشقين. أبعد عن الحزب الوطني الفاشي، وحكم عليه بثلاث سنوات نفي. وصل إلى أوستيكا في 28 مايو 1927م وبقي فيها حتى 12 أغسطس 1929م، عندما تم تحويله إل بونزا . وأدت حادثة كسر في عظمة سابقه لم تعالج بطريقة صحيحة إلى جعله أحدب. بعيداً عن مصالحه الخاصة اضطر إلى بيع حاجياته الباقية له "حتى أصبح نصف عار تقريباً، وبدون عمل. وتمكن من العيش بالعمل مفتشاً صحفياً لصالح صحيفة "جريدة الشعب".

(ص 98-99) قطعة شعر بعنوان (arabia felix) للمبعد السياسي سيلفيو كامبانيلي، وترجمتها إلى العربية التي أعدها أحمد حاجي مراد، نشرت في "رسالة مركز الدراسات والتوثيق: جزيرة أوستيكا"، 9 ديسمبر 2001م، ص ص9-13

هذه القصيدة كتبها في أوستيكا في صيف 1927م المبعد السياسي سيلفيو كامبانيلي، وكان آنذاك في الثانية والعشرين من عمره، وقد احتفظت بها في مذكراتها ابنة جوزيبي سكالاريني، فيرجينيا..

صورة : سيلفيو كامبانيلي، ولد في روما في 24 يونيو 1905م، شيوعي حكم عليه بالإبعاد لثماني سنوات. قضاها في لامبيدوزا وأوستيكا (من 1 أبريل 1927م – 7 يوليو 1928م)، وفي ليباري، وأخيرا في بونزا، حيث تزوج سيدة من الجزيرة. ثم أطلق سراحه في سنة 1935م وعاد إلى روما، ولكن أبعد من الحزب الشيوعي.

وعلى الرغم من أنه أعلن أنه تراجع عن موقفه لم ينجح كامبانيلي في محو اسمه من قوائم المشاغبين الذين يراهم الحزب خطرين. ذهب ضحية قمع النظام الألماني في 24 مارس 1944م بإلقائه في المحرقة مع 334 من الرهائن.

ص 100: رسوما 1) العرب يستقبلونكم بأذرع مفتوحة 2) تطهير الواحة

ص101: شجرة الميلاد التي أقامها الجنود في طرابلس. (رسم لسكالاريني في صحيفة (أفانتي) بتاريخ 23 ديسمبر ج. سكالاريني : إيطاليا عصير ليبيا. ج. سكالاريني : جزر وقيود

تجمع في أوستيكا في سنة 1927م حوالي 600 مبعدين سياسيين، من مختلف الأحزاب والحركات التي كانت تعارض النظام الفاشي. كانت أوستيكا بالنسبة لهم موضعا للآلام، ولكنها كانت في الوقت نفسه فرصة لتقابل الأفكار وتبادل التجارب، في تجاوز للانقسامات والانتماءات الإيديولوجية، والتجارب المشتركة. وقد تم إعداد مطاعم وتعاونيات وأنشطة رياضية وترفيهية، ومؤتمرات وتم إنشاء مدرسة ومكتبة، كان عليها إقبال شديد. وكانت هذه أنشطة وجدت سلطات الشرطة صعوبة في ضبطها تماماً. فقد كانت كثيرة جداً بالنسبة للنظام الفاشي الذي كان يهدف من وراء إبعاده المعارضين إلى المنفى لا تحديد حريتهم فقط، بل إنهائهم تماماً من حيث قدراتهم الفكرية والاجتماعية، أي

جعلهم غير مؤذين. نتج عن ذلك، في 10 أكتوبر 1927م اعتقال 54 من بين الزعماء من المنفيين السياسيين الإيطاليين بتلك التهمة الخيالية أنهم كانوا يخططون للقيام بثورة للهجوم على المعسكرات وترتيب هروب جماعي للاستيلاء على الحكم في البلاد. وكانت هذه عملية عبثية كلفت السياسيين البقاء حوالي سنة من السجن في باليرمو، قضاها المسجونون في انتظار انتهاء التحقيقات الطويلة التي بينت عدم وجود أساس للاتهامات.

منذ ذلك التاريخ بدأت عملية نقل كل السياسيين إلى جزر أخرى، وإلى جانب المبعدين العاديين استمر وجود الليبيين في الجزيرة. ثلاثون منهم كانوا قد أعيدوا إلى وطنهم، في السنة نفسها، ولكن وصل غيرهم، وخاصة من بين الأعيان من برقة. بعضهم سوف يبقون هناك حتى سنة 1934م، وقد أرسل إلى هناك السيد محمد الرضا شقيق (الأمير) إدريس وممثله في برقة، الذي اعتقل في 1928م. وفي 1930م سوف يصل أيضاً ابنه الحسن الرضا مع 31 زعيماً من الزوايا، ثم يلتحق بهم 8 آخرون في أكتوبر التالي.

كثيرون وربما أكثر من اللازم. والحقيقة أن وزير المستعمرات وجد من المناسب في 7 نوفمبر 1930م، وقدم بذلك توصية لوزير الداخلية، "إرسال هؤلاء الأعيان إلى مكان آخر غير أوستيكا، حيث يوجد أعيان آخرون وكل زعماء الزوايا السنوسية، تجنباً لإتاحة المجال لتكون تجمع كبير من المنفيين العرب، ما قد يسمح بإتاحة فرصة لحدوث تفاهمات أخرى.

الأمير الصغير النشط

تبنى السيد محمد الرضا السنوسي، وكيل أخيه السنوسي الكبير إدريس، الذي سيكون ملك ليبيا، خطاً موالياً لإيطاليا. اعتقل سنة 1927 وأرسل إلى المنفى في أوستيكا سمح له بالعودة في الشهور الأولى من سنة 1929م للقيام بعملية تهدئة في برقة. وهنا بدأت فترة من المفاوضات، ومن التنازلات، حتى في أوساط المقاومة.

وقد كان ابنه حسن الرضا السنوسي، وأخوه الصديق منخرطين مباشرة في الكفاح ضد الإيطاليين، إلى جانب عمر المختار، ولكنهم لا يشاركون هذا الأخير خطه المتشدد في المفاوضات مع الإيطاليين. وكان توقيع اتفاقية وضعها الحسن وأبوه في 16 أغسطس سنة 1929م سبباً في مواجهة عنيفة بين عمر والحسن، فبسبب هذا الموقف قام إدريس بعزل الرضا وابنه الحسن، وسمى عمر المختار ممثله الوحيد في المفاوضات.

خطط الحسن للهروب: "ما ينفع إلا الفرار". قال ذلك لوالده مؤكداً أنه لم يعد ينفع لأجل الخلاص من عيشة غير مريحة إلا الفرار. ولحماية ابنه المشاغب من أية مخاطرات ذات علاقة باختياراته أقدم الأب على البلاغ عنه، وفي رسالة أرسلها إلى صديقه الشارف الغرياني، أحد الزعماء العرب المخلصين لإيطاليا، كتب "أقسم بالله العظيم أني كنت دائماً أنصحه بما أراه خيراً له، وأنت تعرف كيف هم شباب اليوم، آمل أن تتخذ الحكومة قرار إبعاده من المستعمرة، وهذا سوف يكون أيضاً لمصلحته، في انتظار أن تتحسن الأحوال".

في شهر مايو 1930م نائب حاكم برقة غراتسياني، وهو يواصل حملته الحاسمة ضد السنوسيين، أمر بالقبض على كل شيوخ الزوايا، ومصادرة كل ممتلكاتهم. تم القبض أيضاً على الحسن الرضا السنوسي وحكم عليه بالنفي لمدة خمس سنوات، ووصل إلى أوستيكا

في 15 سبتمبر 1930م مع 31 شيخاً سنوسياً، وزوجته زينب بنت محمد السوداني، وابنته ذات الـ 8 أشهر، وحفيده محمد ذو السنتين من العمر، إضافة إلى خادم وخادمة.

وسرعان ما أصبح بقاؤه في أوستيكا مستحيلاً، لأنه، كما أبلغ بذلك المحافظ في رسالة إلى وزير المستعمرات بقوله: "إن الحسن الرضا بسبب صغر سنه (كان عمره 21 عاماً)، ومستواه المادي الملحوظ أصبح ذا علاقة حميمة مع مختلف العائلات الموجودة في المكان". وقد بلغ الأمر حد إقدام الحسن على طلب الزواج من شابة أوستسيكية، أعلن والده أنه مستعد لتقديمها، لو قدم الحسن هدية من نصف مليون ليرة .

من هنا نشأت فكرة النقل إلى تريميتي، التي أجلت إلى تاريخ لاحق حتى تضع الزوجة حملها، الذي حدث بعد ذلك في أوستيكا في 25 مايو.

وصل الحسن إلى تريميتي في 29 يونيو 1931م، وهناك لحق به خادمه علي جابر مضوة المولود في الكفرة. وحتى في هذه الوجهة الجديدة كان للأمير القلق مغامرات غير موفقة، كانت هذه المرة ذات طبيعة اقتصادية، حيث تراكمت الديون لصالح سكان الجزيرة والمبعدين.

حصل من غراتسياني على الإفراج المبكر، ومنحة شهرية بقيمة 2500 ليرة، ولكن لم يكن يسمح له بمغادرة إيطاليا.

في 29 أبريل 1934م غادر تريميتي، ولكن منع من تحديد إقامته في روما ونابولي. فاستقر في فلورنسا، حيث قضى بعض الوقت يشترك في السكن مع الباشا عمر منصور الكيخيا، وحيث توفي في 20 نوفمبر 1936م وكان عمره 26 عاماً.

1) طلب من وزير المستعمرات موجه إلى رئيس الشرطة بنقل الحسن من أوستيكا.

2) الأمر بنفي الحسن الرضا

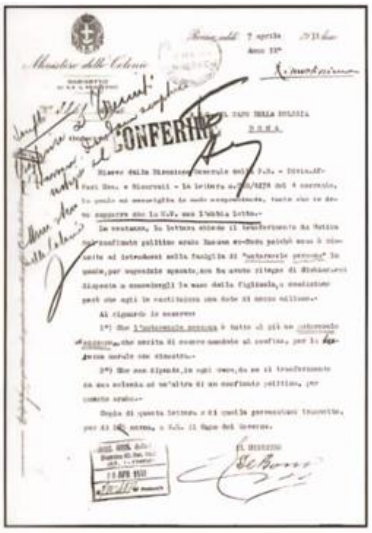

Richiesta del Ministro delle Colonie al Capo della Polizia del trasferimento di Hassan da Ustica.

Ordinanza di invio al confino di Hassan er-Redà.

باشا غامض وقوي

عمر منصور باشا الكيخيا كان رجلاً مراوغاً ماهراً وذا تأثير قوي في إطار السنوسية.

تعاون بنشاط مع الحكومة الإيطالية، ومنذ 1913م شارك في لجنة مكونة من ليبيين تفاوضوا في روما مع رئيس الحكومة جوليتي.

قام بدور الوسيط في الاتفاقية الموقعة في 25 أكتوبر 1920م في الرجمة بين حاكم برقة دي مارتينو والزعيم السنوسي إدريس، أمير برقة. عقب التوقيع على هذه الاتفاقية عين منصور الكيخيا مستشاراً لحكومة برقة براتب قدره 4000 ليرة في الشهر، ومنح وسام تاج إيطاليا. وكان أحد السبعة أعضاء اللجنة المصغرة التي صاحبت إدريس إلى إيطاليا في زيارة للملك فيتوريو إيمانويل III ولرئيس الوزراء جوليتي. وقد حصل على هبات أيضاً الأب منصور والإخوة.

وعندما وقعت في صيف 1922م في برقة حوادث بين السنوسيين والإيطاليين، استقال عمر من مهمته كمستشار للحكومة، وحمل المسؤولية عن قطع العلاقات بين الطرفين لحاكم برقة لويجي بنتور، فتمت تنحيته. ومع ظهور الفاشية، وعلى الرغم من أنه قد أعيد إلى وظيفته كمستشار للحكومة، إلا أن الوسيط السنوسي الكبير، وفور وصوله إلى روما، تم اعتقاله في 9 يناير 1923م هو وأخوه رشيد وابنه فتحي بسبب اتهامات ضدهما من بنتور بالقيام بمؤامرات ضد مصالح الإيطاليين. وانتهت المحاكمة التي أجريت أمام المحكمة العسكرية في بنغازي في 18 فبراير 1924م بالحكم عليهم بالحبس أحد عشر عاماً. قضى عمر الحكم في مناف مختلفة، ثم حكم عليه بالإبعاد إلى منفى الشرطة لمدة

5 سنوات في ساحة أرمرينا. أطلق سراحه في 1928م، ثم أعيد اعتقاله في 12 أكتوبر 1930م وأحيل إلى أوستيكا التي وصلها في 1 نوفمبر. ثم حول بعدئذ إلى تريميتي لعزله عن مجموعة الأعيان السنوسيين الموجودين في الجزيرة. وبسبب علاقات نسائية حكم عليه بالدوران مثل غضروف: من تريميتي إلى فييتري على البحر، إلى فينتوتيني ثم مرة أخرى إلى تريميتي.

في 18 أبريل 1934م تم إطلاق سراحه مع الإقامة الجبرية في إيطاليا، بمرتب قدره 1500 ليرة تتحمله الحكومة الإيطالية. استقر في فلورنسا، تحت حراسة مشددة.

في 27 يوليو 1936م عاد إلى بنغازي مع المنع من مزاولة أي نشاط سياسي.

وحتى بعد نهاية الحرب سوف يظل شخصية مؤثرة: في سنة 1949م حل محله ابنه فتحي في وظيفة رئيس حكومة في أول حكومة في برقة المستقلة. وفي سنة 1951م أصبح رئيس مجلس الشيوخ الليبي. ونعود لنراه نشطاً سنة 1972م من خلال تعيينه وزيراً للخارجية.[25]

[25]- ثمة خلط بين الباشا عمر الكيخيا ومنصور ابن أخيه منصور رشيد منصور الكيخيا.

آخر الليبيين في أوستيكا

في ذكرى العيد الكبير لسنة 1934م أمر الحاكم غراتسياني بالعفو عن باقي المدة المحكوم بها على آخر الليبيين الذين كانوا ما زالوا في أوستيكا، والإذن لهم بالعودة:

عبد القادر العايبي، حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 1 نوفبمر 1930م. وسافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م.

مصطفى بن محمد الساقزلي. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا 1 نوفمبر 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م، رفقة عبد القادر العايبي. وقد كان مصطفى في مجموعة الأعيان الواحد والثلاثين الذين حكم عليهم بالنفي سنة 1930م.

محمد عبد الله منينة. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 1 نوفمبر 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م.

حسن بن حمد البشري. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 1 نوفمبر 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م.

محمد بن بوزيد. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 1 نوفمبر 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م.

عبد الله بلعون بو حمد. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 1 نوفمبر 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م.

السيد حسن بن علي الخطابي السنوسي. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. " آخر من بقي من العائلة السنوسية في الكفرة". وصل إلى أوستيكا في 14 مارس 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م.

حسين مهدي باشا كويري. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 1 نوفمبر 1930م. سافر إلى بنغازي في 16 مارس 1934م. ضابط سابق في الجيش التركي، ضابط صف في بنغازي. وقد كان حسين باشا محكوماً عليه في 9 نوفمبر 1923م بأربع سنوات نفي، وتم إطلاق سراحه في 15 نوفمبر 1925م.

حسين كويري باشا

وقد حصلوا على العفو المشروط بالبقاء في إيطاليا:

عجمان موسى. يهودي، مواطن ليبي، عمره 35 سنة. أحد الأغنياء المؤثرين في بنغازي. حكم عليه بالنفي لمدة 5 سنوات. في يونيو 1931م أرسل إلى الزويتينة في ليبيا. ومنها إلى أوستيكا، ولكنه لم يصل إليها، لأن هذه الشخصية ذات النفوذ تحصل على تحويله إلى بياتسا أرمرينا ثم إلى كومو. أطلق سراحه في 31 أغسطس 1934م.

عمر باشا منصور الكيخيا حكم عليه بالنفي إلى بياتسا أرمرينا، ثم أرسل إلى أوستيكا في 1 نوفمبر 1930. حول إلى تريميتي التي وصل إليها في 26 نوفمبر. ثم حول إلى فييتري سول الماري، ثم إلى بينتو تيني، ومرة أخرى إلى تريميتي. تم إلغاء حكم النفي بقرار بتاريخ 7 أبريل 1934م، وسمح له بالإقامة في فلورنسا، حيث أقام لمدة معينة مع الحسن

الرضا السنوسي. أطلق سراحه بتاريخ 15 يونيو، وسافر إلى بنغازي في مساء 27 يوليو 1936م.

الحسن الرضا السنوسي: حكم عليه هو و31 آخرون من شيوخ الزوايا السنوسية بالنفي 5 سنوات. وصل إلى أوستيكا في 15 سبتمبر 1930م. حول إلى تريميتي التي وصل إليها في 3 يوليو 1931م. وفي 16 مارس 1934م حكم عليه بالإقامة في إيطاليا. واستقر في محل إقامته في فلورنسا، حيث توفي في المستشفى في 20 نوفمبر 1936م.

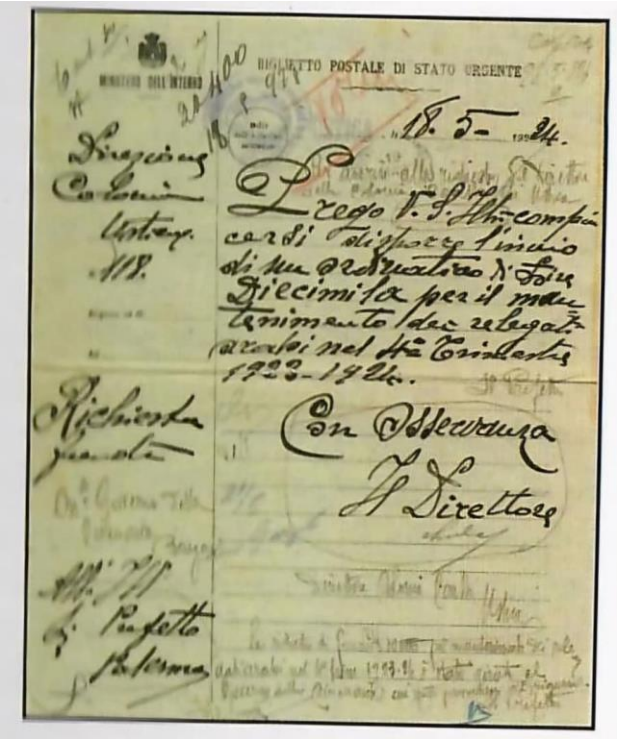
BIGLIETTO POSTALE DI STATO URGENTE

أرشيف الدولة المركزي. وزارة الداخلية. الإدارة العامة للأمن العام. المنفيون السياسيون. أعيان ليبيون في المملكة 1932م.

صورة: طلب قدمه مدير المستعمرة بتاريخ 18 مايو 1924م بالحصول على مبلغ 10.000 ليرة، مصاريف الإقامة للمنفيين الليبيين عن الفصل الرابع 1922–1924م.

الطفلة الأوستيكية كونشيتينا ماجوري كانت متعلقة جداً بالعين، الذي كان كما تذكر هي نفسها كان اسمه (حميدة)، وكان كل يوم يهدي إليها حلوى. كان أبوها نوتسيو تاجراً وكان هو من يزود الباشا بالبضائع التي يأمر بها، وكان يحضرها من باليرمو. وتحدد كونشيتا ماجوري تاريخ الصورة بين 1932 و1933م.

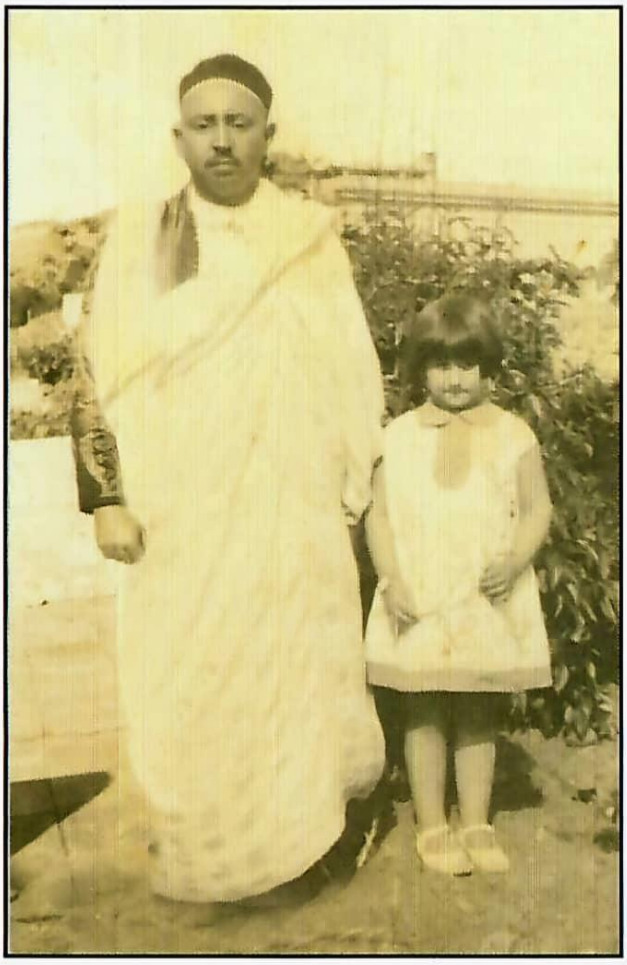

وكان من بين الأعيان الواحد والثلاثين من شيوخ الزوايا المنفيين إلى أوستيكا في أغسطس 1930م: حميدة بن صالح بو إسماعيل، حميدة بن عبد الله، حميدة الصغير. ولم يمكن معرفة أي هؤلاء المسمين حميدة كان صديق عائلة ماجوري.

صورة الطفلة الأوستيكية كونشيتينا ماجوري مع الباشا.

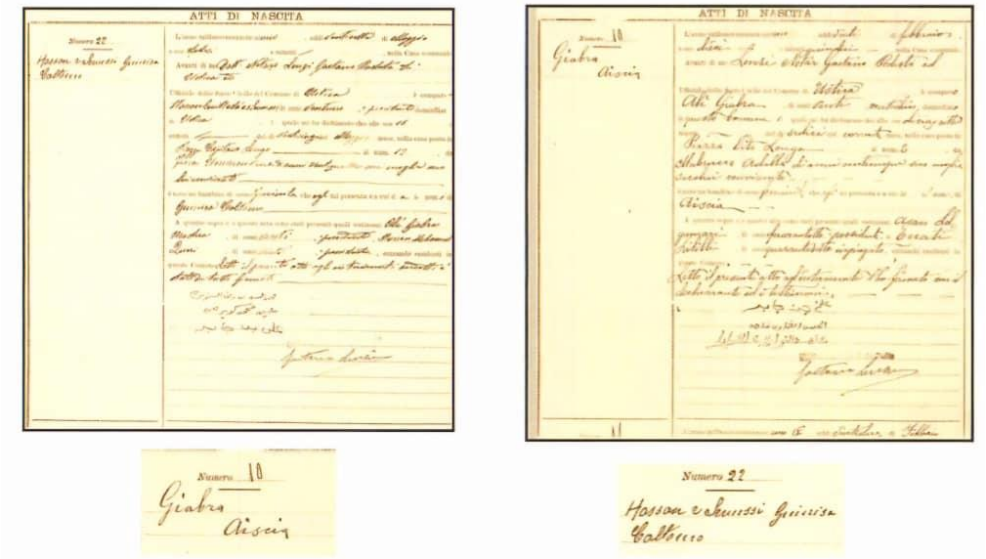

Atti di nascita di due bimbe libiche a Ustica.

شهادتا ميلاد طفلين ليبيين في أوستيكا.

في أوستيكا هناك الموت، ولكن هناك أيضاً الولادة.

في 16 فبراير 1931م، الساعة 17 في ميدان (CAP.Vito longo n.2) ولدت عائشة ابنة علي جبرا، ذي العشرين عاماً. في 25 مايو 1931م، الساعة 16، في ميدان (CAP.Vito longo N.12) ولدت كنيزة ابنة الحسن الرضا السنوسي، ذي الواحد والعشرين عاماً.

صور مقبرة العرب وقد قامت بترميمها وصيانتها الحكومة الليبية سنة 2004م. وقد أشرفت على الصيانة بلدية أوستيكا. وقد دفن فيها الليبيون الذين ماتوا خلال فترات وجودهم في الجزيرة سنوات 1911-1912-1915-1916م.

في الصورة إلى اليمين اللوحة المخصصة لذكرى "ضحايا النفي إلى أوستيكا من الليبيين". وتقابلها صورة لمدخل المقبرة.

المراجع

استعنا في بحثنا أيضاً بعمل لوتشانو نيستيكو في مجال التوثيق والأرشفة الذي نذكره هنا كاملاً:

اتجاهي لدراسة عملية نفي الليبيين إلى إيطاليا خلال الحقبة الاستعمارية نقبت في الأرشيف المركزي للدولة لوزارة الشؤون الخارجية: 35 ملفاً مخصصة كلياً أو جزئياً لمختلف جوانب الموضوع. 15 ملفاً كانت محفوظة في قسم واحد في الأرشيف التاريخي لوزارة الخارجية، أما الملفات الباقية فكانت محفوظة في أقسام مختلفة في الأرشيف المركزي للدولة.

من المحتمل جداً أن توجد مواد وثائقية أخرى في مصادر مختلفة، وذلك أن وثائق أخرى تمت الإشارة إليها كانت موجهة أيضاً إلى الإدارة العامة للشؤون السياسية، وأيضاً إلى الإدارة العامة للسجون والإصلاحيات في وزارة الداخلية، إلى رئاسة وزارة المستعمرات.

ويمكن تصنيف الوثائق التي تم الاطلاع عليها، بحسب موضوعاتها، بصفة عامة في ثماني مجموعات:

1) مراسلات بين الوزارات متعلقة بحالة الليبيين المنفيين، ولإعاشتهم وغير ذلك من الترتيبات المكلفة بها الإدارات المختلفة.
2) مراسلات بين إدارات في المناطق ووزارة الداخلية حول المشاكل التي تنشأ بسبب سلوك السجانين وما ينشأ عن ذلك من نتائج: ملخصات عددية وقوائم بأسماء الأشخاص، وأسماء الموتى وأسماء من عادوا إلى الوطن.
3) تقارير لموظفين من وزارات الداخلية والمستعمرات.
4) بطاقات بريدية شخصية موجهة إلى أفراد من المبعدين.

5) وثائق متعلقة بتوثيق كل نوع من المصروفات التي اعتمدت لإدارة المستعمرات.
6) بضع رسائل من المنفيين وعدد هائل من المختصرات، وافقت عليها الرقابة، من بين المراسلات التي أرسلها المنفيون أو وصلت إليهم.
7) مقالات صحفية، ذات توجه معارض، حول المعاملة التي خصصت لليبيين المنفيين.
8) هناك في الختام ألبوماً يحتوي 38 صورة، أبيض وأسود، مقاس 9×14 سم، التقطت في مستعمرة بونزا في 1912م.

وتوجد محفوظات في الأرشيف التاريخي لوزارة الخارجية:

- محفوظات الأرشيف التاريخي لوزارة أفريقيا الإيطالية ، مجموعة ليبيا التي تتضمن الإضبارات: 1/112، 2/112، 3/112، 1/117، 1/144، 7/150 (ملف24)، 8/150 (ملف 25)، 27/150 (ملف 126)، 11/176 (ملفات 63، 64، 65)، 22/176 (ملفات 122، 123، 124، 23/176 (ملفات 125، 126، 128 ، 25/176 (ملف 138)، 30/176 (ملف باسكولو 160)، 31/176 (ملفات 167، 168) ، 36/176 (ملف 194).

وفي أرشيف الدولة المركزي حفظت:

- أرشيف وزارة الداخلية، الإدارة العامة للأمن العام، مجموعة الشرطة القضائية التي تتضمن أضبارات رقم 53 (سنوات 1916-1918م، تصنيف 11200.10)، 69 (سنوات 1913-1915م، تصنيف 11500.4)، 70 (سنوات 1913-1915م، تصنيف 11500.4، 73أ (سنوات 1913-1915م، تصنيف 11500.4)، 72 (سنوات 1913-1915م، سنوات 11500.4)، 73ب (سنوات 1913-1915م، تصنيف 11500.4، 272 (سنوات 1910-1912م، تصنيف 11200.10، 273 (سنوات 1910-

1912م، تصنيف 11500.4، 273 (سنوات 1910–1912م، تصنيف 11500.4)، 55 (سنوات 1916–1918م، تصنيف 11500.4. عند إجراء هذا البحث لم يكن متاحاً الاطلاع على محتويات هذا الملف الأخير، لأنها لم تكن موجودة في مكانها.

- أرشيف وزارة الداخلية، الإدارة العامة للصحة العامة الذي يحتوي الملفات: ر. 306 (سنوات 1882–1915م)، تصنيف 20300.1.35، 307 (سنوات 1882–1915م، تصنيف 20300.1.35)، 308 (سنوات 1882–1915م، تصنيف 20300، 1.33)، 686م (سنوات 1910–1920م، تصنيف 22400.12.24)، 294 (سنوات 1882–1915م، تصنيف 20300.1.9)، يحتوي الملفات الشخصية للأطباء الذين خدموا في مستعمرات النفي.
- أرشيف وزارة الداخلية، الإدارة العامة للأمن العام، قسم الشؤون العامة السرية، مكتب النفي السياسي، شؤون عامة يحتوي المظروف 21، لسنة 1932م.
- أرشيف وزارة الداخلية، الإدارة العامة للأمن العام، قسم الشرطة السياسية يحتوي المظروف 770، ملف (منصور باشا عمر).
- أرشيف رئاسة مجلس الوزراء، يحتوي المظروف 1925م، تصنيف POT 2.4.2 2144 (منصور باشا عمر).
- أرشيف وزارة العفو والعدالة، الإدارة العامة، معاهد الوقاية والعقاب، الأرشيف العام (1906–1925م) الذي يحتوي المظروف 648، تصنيف 25–9.
- أرشيف الشخصيات، ورقة أميليو، العلبتان 1، 2.

لوتشانو نيستيكو

مقالات نشرها مركز الدراسات حول قصة الليبيين في أوستيكا

- ذلك الذي يحدث في الجزيرة الصغيرة.. ماسيمو كازيرتا نشرت في "صحيفة مركز الدراسات والتوثيق، جزيرة أوستيكا"، 1 ديسمبر 1997م، ص ص10-12: قصة المنفيين في 1911م.
- عندما أرسل فاليرا إلى أوسيتيكا.. ماسيمو كازيرتا، في صحيفة مركز الدراسات والتوثيق جزيرة أوستيكا، 2 مايو 1998، ص ص8-11، تحقيق مراسل (أفانتي) سنة 1912 حول المستعمرة العقابية أوستيكا وحول الظروف المعيشية للمساجين العرب.
- أنتونيو كوتريرا، المندوب ... أوجستو فيراري، في صحيفة مركز الدراسات والتوثيق جزيرة أوستيكا، 4 ديسمبر 1998م، ص ص6-9، معلومات عن أنتونيو كوتريرا مدير المستعمرة العقابية في أوستيكا، وعمله الإنساني، فيما يتعلق بقصة المعتقلين العرب، وبعض جوانب صقلية وإيطاليا في ذلك الوقت.
- المنفيون الليبيون: مسألة ما زالت مفتوحة (الجزء الأول)، الكاتبان: فيتو أيلارا و ماسيمو كازيرتا، في "رسالة مركز الدراسات والتوثيق جزيرة أوستيكا"، 3 ديسمبر 1999م، ص ص24-26، قائمة الليبيين المتوفين في أوستيكا في 1911 و1912م، والجوانب التي لم تتم إنارتها بعد من القصة. الاكتشاف المفاجئ في سجلات البلدية لوجود مجموعة ضخمة من الليبيين ماتوا بشكل متلاحق في سنوات 1915 و1916م، في أعقاب حملة النفي الجماعي الثانية إلى الجزيرة، والسياق التاريخي الذي نضجت فيه. ومساهمة مركز الدراسات والتوثيق في جزيرة أوستيكا في أنشطة (المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق)، مع مقترح خطوط جديدة للبحث التاريخي حول قصة المنفيين الليبيين خلال الحقبة الاستعمارية.
- شهادة حول العلاقات بين المنفيين الليبيين والمبعدين السياسيين الإيطاليين في أوستيكا، أعدها فيتو أيلارا وماسيمو كازيرتا، تتضمن قطعة شعر بعنوان (arabia felix) للمبعد السياسي سيلفيو كامبانيلي، وترجمتها إلى العربية التي

أعدها أحمد حاجي مراد، نشرت في "رسالة مركز الدراسات والتوثيق: جزيرة أوستيكا"، 9 ديسمبر 2001م، ص ص9–13: تقرير مركز الدراسات والتوثيق جزيرة أوستيكا في مؤتمر فافنيانا المنعقد في 3 نوفمبر 2001، بإشراف (Is.I.A.O) المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق، والمركز الليبي للدراسات التاريخية، حول نفي الليبيين إلى إيطاليا. الاكتشاف المذهل لقطعة شعر، وأبحاثنا الأولى عن جوزيبي سكالاريني.

- الترتيبات الصحية في المستعمرة العقابية في أوستيكا (1911–1912م)، إعداد باولو جراتسيوزي في (رسالة مركز الدراسات والتوثيق جزيرة أوستيكا)، 11–12 يوليو–ديسمبر 2002م، ص ص30–36: دراسة دقيقة لتوثيق المعالجات الطبية بمناسبة عملية النفي الأولى لليبيين سنة 1911م إلى مستعمرة جزيرة أوستيكا.
- مقالة إليونورا إنسالاكو بعنوان "الحسن الرضا السنوسي وواحد وثلاثون من الأعيان الليبيين في أوستيكا"، في رسالة مركز الدراسات والتوثيق جزيرة أوستيكا، ر.13–14، أبريل–أغسطس 2003، ص ص14–17: إعادة سرد الحوادث التي أدت إلى اعتقال كل شيوخ الزوايا السنوسية في برقة، إلى جانب الشاب الحسن الرضا، ابن أخ ووريث عرش الملك إدريس السنوسي، وإرسالهم إلى المنفى في أوستيكا.
- معرض حول المنفيين الليبيين، أقامه ماريو جينكو في (رسالة مركز الدراسات والتوثيق: جزيرة أوستيكا، ر. 17–18 أغسطس ديسمبر 2004م، ص ص36–39، رسالة المعرض حول نفي الليبيين إلى أوستيكا بعد إقامته في الجزيرة.

مساهمات مركز الدراسات

مساهمات مركز الدراسات في المؤتمرات التي نظمها المعهد الإيطالي لأفريقيا والشرق، والمركز الليبي للدراسات التاريخية، حول المنفيين الليبيين في الحقبة الاستعمارية:

- دراسة فيتو إيلارا، في المؤتمر الأول بتاريخ 28–29 أكتوبر 2000م، جزيرة تريميتي، روما 2002م، ص ص153–165.
- قصص نفي الليبيين إلى أوستيكا سنة 1911 و1915م، لماسيمو كازيرتا، المؤتمر الأول 28–29 أكتوبر 2000م، جزر تريميتي، طبع في كتاب المؤتمر الأول 28–29 أكتوبر 2000م، جزر تريميتي ، روما 2002م، ص ص159–161.
- بحث فيتو إيلارا وماسيمو كازيرتا بعنوان "شهادة حول العلاقات بين المنفيين الليبيين والمبعدين السياسيين الإيطاليين إلى أوستيكا، المؤتمر الثاني 3–4 نوفمبر 2001م، جزر إيجادي وفافنيانا، روما 2003م، ص ص145–154.

صرخة أم

نود عند هذا الحد الاستشهاد بما كتبه المؤرخ الإيطالي الشجاع أنجيلو ديل بوكا

عن شكوى لأم مكلومة (أغنية أم إيطالية) يغمرها اليأس

لما لاقاه ابنها الذي سقط في خنادق **بنغازي**، على خلفية خطابات النصر القومي

الذي كرسه تأييد كبير من الإيطاليين فيما يخص استعمار ليبيا .. تقول هذه الأم:

ابني المسكين، وزوجي الغالي
الميت في عز شبابه
من يدري كم مرة حاولت الاتصال بنا
ونحن نجدك في مثل تلك الحالة المؤسفة
والمصير المؤلم، ذلك الذي أخذك مني
كي لا تعود أبداً، ما يفجر قلبي حزنا.

مات في ليبيا

بينما كان المسؤولون الإيطاليون يتناقشون ويتفاوضون مع ممثلي المقاومة الليبية، وكانت الحياة في بنغازي، كما رأينا، تسير على ما يرام، مع أفق محدود للنمو، كان الجنود الإيطاليون، المنتشرون في الأرض الشاسعة لمستعمرتينا، وخاصة أولئك الذين كانوا موجهين للتمركز في الأجزاء الوعرة في منطقة سرت والجفارة وطرابلس وفزان، يحاربون عدواً تصعب ملاحقته، لأنه متحرك دائماً، وكثير منهم ماتوا هناك.

من هؤلاء الضحايا المهملين ضاعت حتى آثارهم، ما نشأ عنه التعبير الشعبي في إيطاليا، وهو طريقة في التعبير ما زال كبار السن حتى اليوم يذكرونها وهي (مات في ليبيا).

انتهى.

نود عند هذا الحد الاستشهاد بما كتبه المؤرخ الإيطالي الشجاع أنجيلو ديل بوكا

عن شكوى لأم مكلومة (أغنية أم إيطالية) يغمرها اليأس

لما لاقاه ابنها الذي سقط في خنادق **بنغازي**، على خلفية خطابات النصر القومي

الذي كرسه تأييد كبير من الإيطاليين فيما يخص استعمار ليبيا .. تقول هذه الأم:

أبني المسكين، وزوجي الغالي
الميت في عز شبابه
من يدري كم مرة حاولت الاتصال بنا
ونحن نجدك في مثل تلك الحالة المؤسفة
والمصير المؤلم، ذلك الذي أخذك مني
كي لا تعود أبداً، ما يفجر قلبي حزنا.

ما ضاع حق وراءه مطالب ..!!

مركز السلام
Salam Centre